THOUGHT
EL-NAYYAL ABU GROUN

النّيل عبد القادر أبو قرون

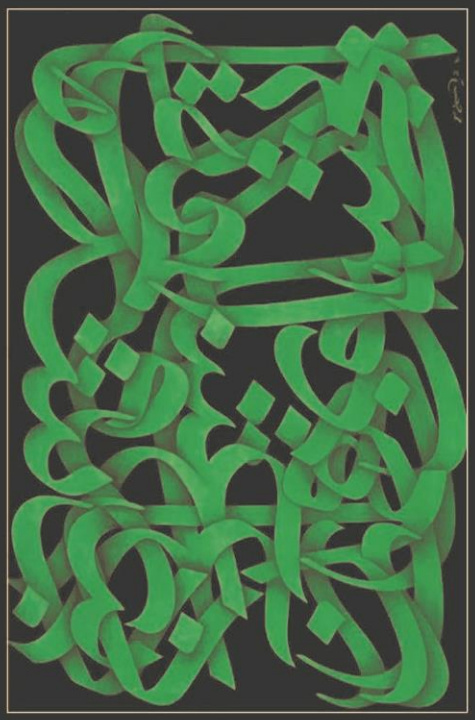

مُراجعات في الفِكرِ الإسلاميّ

الجزءُ الثاني

مراجعات في الفكر الإسلامي

الجزء الثاني

النيّل عبدالقادر أبو قرون

مفتتح

الحمدلله الذي صلى على رسول الله ، ومدحه بالخلق العظيم وزكاه ، وبعد ،

فإنّ هذا الجزء الثاني من كتاب «مراجعات في الفكر الديني» يندرج في الإطار ذاته الذي كان عليه الجزء الأول ، أي إعادة قراءة متأملة لما وصلنا من الموروث ، وخصوصا ما يطعن بالعصمة المحمدية الشريفة ، ويتهمها بنقص في العلم أو في تأدية الرسالة ، وهذه الأمور من الكوارث التي يتسابق خطباء المسلمين للحديث عنها في المنابر عن جهل أو سوء نية ، مقدسين في ذلك ما وصلهم من النقل ، مانحين له ولمن كتبه أو أملاه العصمة ، ويتقبلونه دون نقاش ولا تمحيص ، بينما تمرّ على ألسنتهم وقلوبهم الإساءات للنبي العظيم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، صلاة تعيى القلوب عن إدراك عظمتها ، وإني استعيذ بالله العلي القدير مما يفترون أو يرضون ، فكيف يطلبون الشفاعة من صاحبها يوم الدين ، وهم عن ذكره معرضون ، وبعرضه وخلقه وآله يهرفون . . .!!

إننا اليوم في أمس الحاجة إلى مراجعة حقيقية جريئة لما وصلنا عن حياة نبينا الكريم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في حله وترحاله وأقواله ، وما امتلأت به بعض كتب الحديث ، والتفاسير من تناقضات بينة ، أخذها بعض الحاقدين على الإسلام أدلة لكي يهاجموه ، ويطعنوا بأخلاق نبيه ، وهي في الحقيقة اتهامات باطلة ، أراد بها المنافقون أن يطفئوا نور الله بأقلامهم ، ولكن الله متم نوره ، وإن كانت مضت أكثر من ألف سنة ، وهي تتردد على مسامعنا يوميا ، حتى تشربتها القلوب المريضة فأصبحت بذلك في حجاب بينها وبين رسول رب العالمين ، فلا يجتمع النقد واللوم في قلب المحب ، لا سيما لخير العالمين ، الرحمة المهداة ، السراج المنير . .!

وأني آمل بهذا الجهد المتواضع أن ينير الله به قلوب القراء ، فتنجلي بالمحبة المحمدية الحقة ، ويتذوق المرء حلاوتها وطلاوتها في روحه وفكره ، وأن تكون سببا في فتح صفحة جديدة بين المسلم ونبيه ، لا سيما أن قرأها بقلب منفتح بدون مرجعيات تراكمية من النقل والخطب والأقوال ، بل بالرغبة الحقيقية للمعرفة ، خصوصا في هذا الزمان الذي أصبح الدين الحق فيه غريباً ، تتناوشه الطعنات من كل جانب ، وصلى الله على سيدنا محمد وبارك عليه ووالديه وآله .

التشكيك بصحّة القرآن

قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]

إنّ من أقدس مقدسات الأُمّة الإسلامية كتاب الله المنزّل على رسوله محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولا يوجد مؤمن بالله ورسوله يقبل بالطعن في هذا القرآن المجيد الذي تَكَفَّل الله تعالى بحفظه ، ولا يشكُّ أحدٌ في كُفرِ من يقول فيه بنقص أو زيادة على الموجود بين دفتي هذا المصحف الشريف ، ولا أدري ماذا يبقى للمسلمين إنْ هُم قبلوا القول في القرآن بنقصٍ في عدد سُوَرِهِ التي كانت على عهد رسول الله ، أو قبلوا القول بأنّ هناك آيات تُوُفِّي رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، وهُنَّ مما يُقرأ من القرآن ولكنها الآن لا توجد فيه . . ، أو هناك آيات من القرآن كانت في صحيفةٍ أكلها الداجن عند وفاة رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

وآله . . .! ، أوهناك سورة كانت في حجم سورة البقرة ولكنها الآن أقل من مائة آية . . .!

قد يقول جاهلٌ أو مُستَجهَلٌ أو غافلٌ أو مُستَغفَلٌ : يمكن أن تكون هذه مما نسخ من القرآن . فيُقال له : متى نُسِخَت . .؟ في عهد النبي الكريم أم بعده . .؟ وهل النسخ هو محو حروفها أو رفع حكمها . .؟ فإنّ من يمحو آيةً مِن القرآن الذي تركه فينا رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، ويزيل حروفها أو يمنع كتابتها في المصحف لا يكون إلا شيطاناً مريداً عليه لَعَنَة الله .

وإنَّ مَن يَدَّعي وجود آيات من القرآن غير مثبتة فيه فانّه يَدَّعي وجود قرآن آخر غير الذي تكفّل الله بحفظه الموجود بين أيدينا ، وهذا هو الذي يتهم به بعض أهل السّنة الشيعة ويقولون إن عندهم قرآناً غير هذا القرآن الذي بين أيدينا . . .!

هنا تتوارد العديد من الأسئلة بهذا الخصوص ومنها :

– هل القرآن الموجود لدينا الآن المحصور بين دَفَّتَي المصحف ، والمسمّى بالمصحف العثماني هو القرآن العظيم الذي أنزله الله على رسوله محمد بن عبد الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، والذي تكفل جلّ جلاله بحفظه؟

– هل توجد سورٌ من القرآن أُنزلت على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، وهي الآن غير مثبتة في هذا المصحف؟

– هل توجد سور من القرآن نقص حجمها عمّا كان عليه في عهد رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟

– هل توجد آيات من القرآن كانت تُقرأ في عهد رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ولم تُدَوَّن في هذا المصحف؟ وإن كانت الإجابة بنعم فهل مَنَعَ النبي تدوينها . .؟

– إذا لم يمنع النبي تدوين شيءٍ من القرآن فهل يوجد مَنْ مَنَعَ تدوين آيات كانت تُقرأ على عهد رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . .؟

– إذا كان القرآن الموجود الآن بين أيدينا هو كتاب الله وحبله المتين ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتَنَزَّهَ عن أن يكون به نقص ، فهل يمكن لأحدٍ أن يستند إلى حُكم القرآن في غيرِ المُدَوَّن المحفوظ لدينا في آيات غير مضبوطة بين دَفَّتَي المصحف؟

بمعنى هل يمكن لأحدٍ أن يأتي بآية لا وجود لها في المصحف ، ويقول إنها من القرآن الذي أُنزل على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، ويَتَّخِذها سَنَداً ومرجعيةً لحُكمه؟

لمناقشة هادئة لكلّ ما ورد أعلاه من أسئلة عاصفة ، دعونا نقرأ ما جاء في صحيح البخاري في باب «رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت» ، وهو ما نسب إلى أن عمر بن الخطاب قال على المنبر : (**إنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحقِّ ،**

وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل الله آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها . . فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائلٌ : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله ، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله . . .)[1] وللحديث بقية .

ولكني أسألك أيُّها المسلم قبل الاستمرار في الحديث : هل تجد آية الرجم في كتاب الله . .؟؟ ويستمر حديث البخاري فيقول ناسباً الأمر إلى عمر بن الخطاب : (إنا كُنّا نقرأ فيما نقرأ مِن كتاب الله «أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كُفرٌ بِكم أن ترغبوا عن آبائكم- أو إن كُفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم») فالآية المزعومة لا يُعرف هل هي تُقرأ بـ «فإنه كفرٌ بكم» أم «إن كفراً بكم»؟ إنّه شكٌ في الإضافة المُشَكِّكَةِ في الموجود من كتاب الله! . فأين هذه الآيات التي قال ابن الخطاب أنهم كانوا يقرأونها في كتاب الله؟ أوَلم يكن هو أميراً للمؤمنين؟ فلماذا لم يأمر بضبطها في المصحف ؟ أم أنَ هذا الحديث دسّ على عمر وتشكيكٌ في كتاب الله؟

ويُروَى عن عمر أيضا قوله : وقد قرأناها (**الشيخ والشيخة إذا زَنَيا فارجموهما البتّة . .**)[2] . فأين هذه الآية الآن؟ هل كانت موجودةً في عهد النبي ثم نُسخت؟ وهل نُسِخَت في

---

(١) صحيح البخاري - باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت .

(٢) سنن النسائي .

عهد النبي؟ وإذا نُسِخَت في عهد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لِمَ بقيَ حكمها؟ فإنَّه لا يُعقَل نسخ آية وبقاء حُكمها ، لأنّه لا يوجد ضرر في إثباتها بل العكس أولى لوجود حكمها . والله سبحانه وتعالى يقول ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَة أَوْ نُنسِهَا نَأْت بِخَيْر مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1] فإذا نُسِخَت هذه الآية فأين البديل المُثبت للحُكم القرآني الذي جاءت به؟ فالبديل إما أن يكون مثلها أو أحسن منها! أما إذا قالوا نُسِخَت بعد النبي فَمَنْ هذا النبي الجديد الذي نسخها . .؟ ولعلّ قائلاً يقول استناداً إلى حديث (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي . . .) إن عمر يمكن له الإضافة والحذف فقد نسب إليه قوله «**والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله ، ولقد فعلها رسول الله**»[2] . وإذا صحَّ هذا الحديث فإنّه يدل على أن عمر قد أعطى نفسه الحق في تعديل سنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، وكذلك عدم الالتزام بأحكام القرآن . .! ويكون قد أعلن على الملأ أنه مخالف لله ولرسوله ولدينه الذي جاء به ، وإذا أكَّدَ عمر أنّ هذه الآيات في كتاب الله ، لِمَ لَمْ تُكْتَب حينما جمعوا المصحف ووَحَّدوه في خلافة

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٠٦ .

(٢) سنن النسائي .

عثمان ، وكانوا لا يُثبِتون آية إلا بالبينة ثم يكتبونها . فهل لَم يجِدوا مع شهادة عمر التي شهد بها في خلافته بوجود هذه الآية بيِّنة أُخرى من كلّ الصحابة لإثباتها . .؟ وهل لم يكن هو موثوقاً به إذا كان يقرأ بها ليُثبتوها بإسنادها إليه؟

ثم إن عمر نفسه كان قد آل إليه المصحف المجموع بواسطة زيد بن ثابت الأنصاري في زمن أبي بكر ، وظل عنده حتى توفّاه الله . فقد جاء في البخاري أن أبا بكر أرسل إلى زيد بن ثابت ، وكان عنده عمر بن الخطاب . . . «**قال (زيد بن ثابت) : أرسلَ إليّ أبو بكرٍ . . . وعمرُ عندَهُ جالسٌ لا يتكلم فقال أبو بكر : إنكَ رجلٌ شابٌ عاقل ، ولا نَتهِمُك ، وكنتَ تكتبُ الوحيَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فتَتَبّع القرآنَ فاجمَعْه . . . فقمتُ فتتبّعتُ القرآنَ أجمعُهُ منَ الرّقاع والأكتاف والعُسُب وصُدورِ الرجال ، حتىَ وَجدتُ من سورة التوبة آيَتين مَعَ خُزَيمةَ الأنصاريّ لم أجدْهما مَعَ أحد ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[1] إلى آخرِها . وكانت الصُحُفُ التي جُمعَ فيها القرآن عندَ أبي بكرٍ حتى تَوَفّاهُ الله ، ثم عندَ عمرَ حتى توفاه الله ، ثم عند حفصةَ بنتِ عمر» . فلِمَ لَم يُثبت عمر آية الرجم هذه في المصحف بنفسه وقد كان مجموعاً عنده . .؟

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

وجاء في الموطّأ عن عمر بن الخطاب «**إيّاكُمْ أَنْ تَهْلكُوا عَنْ آيَة الرّجْم . أَنْ يَقُولَ قَائلٌ لاَ نَجِدُ حَدّيْن فِي كِتَاب الله . فَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وَرَجَمْنَا . وَالّذي نَفْسي بِيَده ، لَوْلاَ أَنْ يَقُولَ النّاسُ : زَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّاب فِي كتَاب الله تَعَالَى ، لَكَتَبْتُهَا (الشّيْخُ وَالشّيْخَةُ فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتّةَ) فَإنّا قَدْ قَرَأْنَاهَا**» . ولكنه أمر عجب أن يخشى عمر قول الناس : «زَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّاب فِي كِتَاب الله «رغم إصراره على أنها من القرآن . .! فهل له أن يترك الحق خوفاً مما يقوله الناس إن كانت الآية حقّاً من القرآن؟! وأين قوة عمر في الحق التي ما ذُكر عمر إلا ذُكرت؟

وجاء في صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت «**كَانَ فيمَا أُنْزلَ منَ الْقُرْآن : عَشْرُ رَضَعَات مَعْلُومَات يُحَرّمْنَ ,ثُمّ نُسخْنَ : بخَمْس مَعْلُومَات ,فَتُوُفّيَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم وَهُنّ فيمًا يُقْرَأُ منَ الْقُرْآن**» . فأين هذه الآيات الآن يا ترى . .؟ ومن شطبها من كتاب الله بعد وفاة رسول الله . .؟

وجاء في مسند أحمد بن حنبل عن أُبَي بن كعب قال «**كم تقرؤن سورة الأحزاب؟ قال : بضعاً وسبعين آية .قال : «لقد قرأتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البقرة أو أكثر منها ، وإن فيها آية الرجم**» . فأين ما تبقى منها . .؟ وما هو إيمان أُبَي بن كعب بالقرآن الموجود الآن . .؟؟!

وفي سنن بن ماجة عن عائشة قالت «**لَقَدْ نَزَلَتْ آيَةُ**

الرّجْم ,وَرَضَاعَةُ الكَبِيرِ عَشْراً . وَلَقَدْ كَانَ فِي صَحِيفَةٍ تَحْتَ سَرِيرِي . فَلَمّا مَاتَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَشَاغَلْنَا بِمَوْتِهِ ,دَخَلَ دَاجِنٌ فَأَكَلَهَا» .

فمن نُصَدِّق؟ قول الله سبحانه ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1] أم نُصدِّق وجود تفريط في كتاب الله من أُم المؤمنين عائشة ليأكُل الداجن منه آيات فيصبح الكتاب ناقصاً بعض آياته؟

وإنّه لَمن سخف العقول أن نقبل حديثاً يذكر أنّ شخصاً مجهولاً يحفظ القرآن أكثر من رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حتى أنه ليُذَكِّره بما نسيه منه ، ولا أدري أين موقع هذا الكلام من عصمة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، وحفظ الله لكتابه عن طريق رسوله الذي أُنزِل إليه الذكر ليُبَيِّنَه للناس؟ فقد جاء في سنن أبي داؤود عن عائشة «**أَنّ رَجُلاً قامَ مِنَ اللّيْلِ فَقَرَأَ فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ فَلَمّا أَصْبَحَ قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : يَرْحَمُ الله فُلاَناً كَأَيّنْ مِنْ آيَةٍ أَذْكَرَنِيهَا اللّيْلَةَ كُنْتُ قَدْ أَسْقَطْتُهَا**» فلماذا لم يُذكَر اسم هذا الـ «فُلان» الذي يُذَكِّر النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بالقرآن الذي أُنزِل عليه؟؟ ألا يستحق هذا الفلان ذكر اسمه ، وهو الذي يُذكّر النبي بما أُنزل عليه – كما يقولون–

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

أَنسمَح لأنفُسنا أن نقول إنّ هناك من يحفظ كتاب الله أكثر من رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ؟؟ فبماذا أُرسِل محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وما هي مُعجِزته؟ أيَنسى ما أُرسِل به حتى يوجد «فُلان» أكثر حرصاً منه بذلك ليُذَكِّرَه برسالته؟

هل يوجد عند النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ما هو أهمُّ من الرسالة حتى يُنسيه إيّاها؟ فماذا أبقَينا لرسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إن قبلنا هذا الحديث؟! وأين كلّ هذا من قول الله سبحانه ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى**﴾[1]؟ أليست آية في كتاب الله أم يقولون إنها نُسخت حُكماً . .؟

إنَّ التشكيك في القرآن ولو في آية واحدة منه هو شكٌّ في رسالة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وصِدقه ، وتكذيبٌ لله عز وجل الذي أَنزَل عليه هذا القرآن ، وتكَفَّل بحفظه .

يقول أهل السُنَّة والجماعة ﴿**إنَّ أصحَّ الكتب بعد كتاب الله البخاري ومسلم**﴾ ولكننا لا نَجِدُ التشكيك في كتاب الله إلا فيهما . .!! فبعد أن يقولوا إن هناك آيات لم تُثبت في المصحف يجترؤوا على القول بأن هناك سُوَراً بأكملها لم تُثبت في المصحف! ويُنسَب لأحد الصحابة المشهورين في صحيح

---

(١) سورة الأعلى ، الآية :٦ .

مسلم قولَه بوجود سورتين إحداهما مثل سورة «براءة» والأُخرى يُشَبِّهُها بإحدى المُسَبَّحات ولكنّه نسيهما ولا يحفظ إلاّ آية واحدة من كلٍّ منهما . .!!! إنّ أهل السّنة والجماعة يُلزمون الناس بقول الصحابي وهو حُجَّة عندهم وعَدل ، وهذا الصحابي – وهو أبو موسى الأشعري – يقول إنّ كتاب الله قد فُقِدَت منه سورتان كاملتان يا أهل السنة والجماعة . .!

جاء في صحيح مسلم : «**حدّثني سُوَيْدُ بْنُ سَعِيد . حَدّثَنَا عَلِيّ بْنُ مُسْهِر عَنْ دَاوُدَ ، عَنْ أَبِي حَرْب بْن أَبِي الأَسْوَد ,عَنْ أَبِيه قَالَ : بَعَثَ أَبُو مُوسَىَ الأَشْعَرِيّ إِلَىَ قُرّاء أَهْلِ الْبَصْرَة . فَدَخَلَ عَلَيْه ثَلاَثُمائَة رَجُل قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ . فَقَالَ : أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَة وَقُرّاؤُهُمْ . فَاتْلُوهُ . وَلاَ يَطُولَنّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . وَإِنّا كُنّا نَقْرَأُ سُورَةً . كُنّا نُشَبّهُهَا فِي الطّول وَالشّدّة بِسُورَة بَرَاءَةَ . فَأُنْسِيتُهَا . غَيْرَ أَنّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا : «لَوْ كَانَ لاِبْنِ اَدَمَ وَادِيَان مِنْ مَال لاَبْتَغَىَ وَادِياً ثَالِثاً . وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ اَدَمَ إِلاّ التّرَابُ» . وَكُنّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنّا نُشَبّهُهَا بِإِحْدَىَ الْمُسَبّحَات . فَأُنْسِيتُهَا . غَيْرَ أَنّي حَفِظْتُ مِنْهَا : «يَا أَيّهَا الّذِينَ اَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ . فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ . فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَة»** .

تُرى هل نأخُذ بما يقولُ مَن لا عِصمة لهم ، ممَّن يقولون إنهم أهل السُنَّة والجماعة ، ونُصِرُّ على قولِ إنّ البُخاري ومُسلم أصَحُّ

الكُتُب بعد كتاب الله رَغم كُلّ هذا الذي ورد فيهما ، لِزَرعِ الشَّكَّ في قلوبِ المسلمين كافَّة ، أم الأَولى تَرك مِثل هذه الأحاديث والقول بأنّ البُخاري ومُسلم لا عِصمة لهما ويَجِب علينا رَدُّ كُلَّ ما يُشَكَّكُ في كتابِ الله ، وما يُسيءُ إلى القدرِ المُحَمَّدِي الشريفِ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ وما البُخاري ومُسلم إلا عِباد من عبادِ الله يُخطئون ويُصيبون ، وأمرهم إلى الله ليحاسبهم بعدله أو يقابلهم بفضله . .! ولا قُدسيَّة لِما يَرِدُ في كتابيهما ، ولا ينبغي أن يكونا عندنا بمثابة اللات والعُزَّى عند الكوافِر لِنُكَفَّر كُل من يطعن فيهما!! فقد عظّم المشركون من قبل رجالاً اعتقدوا فيهم العصمة حتى ألّهوهم ، وكان منهم يغوث ويعوق وقد أضلوا كثيراً . فهل نتبع سنن الذين من قبلنا؟

معصية الرسول

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّـهُ مَا عَبَدْنَا من دُونه من شَيْءٍ نَّحْنُ وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَـرَّمْنَا من دُونه من شَيْءٍ كَـذَلكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[1]

فالشرك هو عبادة غير الله ، وقد فسّر النبي الأعظم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله العبادة بالاتباع والطاعة ، كما جاء في الحديث حينما تلا النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّـه﴾[2] «قال أمّا إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»[3] .

قال تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4] لأنّه مخالفة

(١) سورة النحل ، الآية : ٣٥ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٣١ .

(٣) سنن الترمذي .

(٤) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

لمنهاج الشرع الإلهي الذي يأتي به الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، فالتشريع المحمدي لا يكون إلا بأمر إلهي . فكل ما يأمر به رسول الله من أمور الهداية عن الضلال ، فهو أمر الهي تجب طاعته واتباعه وإلا فهو الشرك!! قال تعالى ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[1] فأصبح أمره في هداية الأمة عن الضلال أمر الهي من خالفه فقد أطاع غيره وهذا هو الشرك ، وقد يكون ذلك الغير هو الهوى إن لم يكن بشراً كالأحبار والرهبان . قال تعالى ﴿**وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[2] ولذلك فإنّ الذين يصرّون على صحة الحديث القائل برفض عمر بن الخطاب لأمر النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حينما أمر بإحضار كتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده أبداً ، إنما يصرون على إخراج عمر بن الخطاب من دائرة المسلِّمين له تسليماً – الذين لا يجدون في أنفسهم حرجاً من قضائه ، وهم المؤمنون – وإدخاله في دائرة المتبع لهواه خلافاً لأمر النبي ، وهذا هو الشرك!!! فمن أطاع غيره واتبعه فقد عبده فأشرك . . أكان ذلك المتَبَع هو الهوى أو الأحبار أو الرهبان!!

من هنا يتضح أن الذي يفصل بين الشرك – الذي هو عبادة

---

(١) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٢) سورة ص ، الآية : ٢٦ .

غير الله – والإسلام ، هو طاعة الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . فمن أطاعه ﴿**مَّن يُطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[1] فقد اسلم وسلم تسليماً ومنَ عصاه فقد اتبع هواه ، فهو المشرك العابد لغير الله . فطاعة الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هي الفيصل بين الشرك والإيمان . فالمشرك حقيقة هو من عصى رسول الله لأنّ طاعته هي طاعة الله ، وما طرد أبليس وما لُعِن إلا لأنه أبى طاعة الله ، وهو كالذي يأبى طاعة رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله .

أما الاستعانة بالدعاء كما في قوله تعالى ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾[2] فهو التجاء إلى الله في حضرة إطلاقه لكشف ضرّ ، أو طلب نفع عن طريق الدعاء قال تعالى ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا**﴾[3] ﴿**وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ**﴾[4] وقال تعالى ﴿**فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ**﴾[5] .

وفهم الاستعانة هو المحور الذي عليه التنازع . فيجعل ضيقو

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٦٢ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ١١٠ .

(٤) سورة يونس ، الآية : ١٠٦ .

(٥) سورة الشعراء ، الآية : ٢١٣ .

الأفق وأدعياء التوحيد مطلق الاستعانة شركاً ، بينما واقع الحياة والتعامل لا يخلو أبداً من الاستعانة . وقد قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»[1] وقال «**من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين**»[2] . وبما أنه لا بد للناس من التعامل والاستعانة ببعضهم بعضا ، فينبغي أن تفهم الاستعانة بأنها سلب الحول والقوة من الإنسان المستعان به ، وأن ما يقدمه هو بحول الله وقوته ، لا من ذاته فيكون طالب العون يعتقد أن العون حقيقة من الله المعطي الوهاب . وإن كان هناك منع فهو من الله المانع ، لأنه صاحب الحول والقوة . ومتى اعتقد الإنسان أنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقد انتفى الشرك في الاستعانة والدعاء فيما يُرى أنه بغيره تعالى .

وإذا نظرنا إلى ما طرد من اجله إبليس ولعن ، لوجدناه الفسوق عن أمر ربه ، رغم أنه لم ينكر وجود الله ، بل حتى بعد أن طرده ولعنه لرفضه الانصياع لأمر الله تعالى ، فإنّه كان التجأ إلى الله في دعائه ، ولم يلجأ إلى غيره من الملائكة ، أو آدم ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[3] فهو مقر بالربوبية ،

---

(١) صحيح مسلم .

(٢) الترغيب والترهيب .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٣٦ .

ويعلم من يدعوه ويعلم من يجيبه . .!! فإبليس لم يطرد لأنه أشرك مع الله إلهاً آخر ، ولا لأنه دعا غير الله ، ولا استعان بغير الله . .!!

إذاً فالوبال كله جاءه بسبب عصيانه وعدم طاعته لأمر الله ، وطاعة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هي طاعة الله!! فإنَ الذي يرفض الأمر المحمدي هو مع إبليس في مركب واحد ، وإن كان يعلم أن الله هو ربه الواحد ، ولا يدعو غيره ، ولا يستعين بغيره يا أدعياء التوحيد!!

وهو يستحق اللعن والطرد إلى يوم الوقت المعلوم ، وليس إلى يوم القيامة ، فلا تجعلوا عمر بن الخطاب في مقام من عصى رسول الله بالإصرار على صحة حديث الكتف والدواة . فإبليس هو المثل الأعلى للّعْنَة والشرك والعصيان ، وجرمه هو عصيان أمر الله الذي يعادل عصيان أمر رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله .

تبليغ الرسالة

قال الله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[1]

سورة المائدة هي السورة الأخيرة التي نزلت بالمدينة عدا الآية (٣) التي نزلت بعرفات وهي ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[2] والأمر الذي يربك أرباب العقول ، ويذهل أصحاب القلوب ويحيّر العارفين ، أنّه وبعد مرور ثلاثة وعشرين سنة من عمر الرسالة المحمدية التي أداها رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بصدق وأمانة في التبليغ ، نجد أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل هذه الآية العجيبة التي تطلب منه أن يبلغ ما أنزل إليه ، وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الصادق الأمين أن يكون قد كتم شيئاً من الرسالة ، فما هو إذن هذا الأمر الذي إن لم

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

(٢) سورةالمائدة ، الآية : ٣ .

يقم بفعله فكأنه لم يبلغ رسالة ربه . . .!!

إن الأمر يبدو من العظمة والضخامة بحيث يعدل الرسالة كلها ، فلو كان هذا الأمر بالتبليغ أنزل عليه وهو في مكة لقلنا إنه يختص بالرسالة كلها دون جزء منها . أما كونه جاء بعد ثلاثة وعشرين سنة فذلك يعني أنه أمر خاص ضمن الرسالة ، ولكنه يعدلها في العظم والخطر .

فهل بلّغ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هذا الأمر وسمعه المسلمون منه وعقلوه؟

لقد وقف النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في حجة الوداع وجمع الناس وخطب فيهم وقال «ألا هل بلغت اللهم فاشهد» قالها ثلاثاً . أليس هذا هو البلاغ؟ قال ذلك بعد أن بلّغهم «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**»[1] فقال عمر بن الخطاب لعلي عليه السلام حينها «هنيئاً لك يا بن أبي طالب فقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة» وجاء في البخاري أيضا أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قال لعلي عليه السلام «أنت مني وأنا منك» وقال له صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «أنت **مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»[2]

---

(١) مسند أحمد .

(٢) صحيح مسلم .

وذلك يعني أنه لا يوجد بين أصحابه من هو أعلم بالرسالة بعده من علي عليه السلام ، ولذلك كان هذا التبليغ المأمور به بعد مضي ثلاثة وعشرين سنة بأنّ علياً عليه السلام مولى كلّ من كان النبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله مولاه ، ويؤخذ من هذا الحديث أيضاً – الذي يضع عليّ عليه السلام بمنزلة هارون من موسى من النبي– أنّ امتداد العلم بالرسالة واستمرارها بعد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله متواصل لوجود علي عليه السلام ، فهارون كان شريكاً في رسالة واحدة مع موسى عليهما السلام ، ولا يوجد أحدٌ في أمة محمد بهذه المرتبة من شريعته صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله غير أبي الحسن علي عليه السلام ، فكان الملاذ للأمّة في الشرع المحمدي بعد رسول الله ، حتى قال له الخليفة الثاني عمر بن الخطاب «لولا علي لهلك عمر» و«لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن» . وعلي هو القائل «إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا» فأنزلها الله تعالى كما قالها علي عليه السلام ، وهو «صالح المؤمنين» الذي أنزل الله تعالى فيه ﴿ . . . **وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾[1] فذكره الله تعالى قبل الملائكة وبعد الوحي . وهو الذي قال له النبي صلى

(١) سورة التحريم ، الآية : ٤ .

الله وبارك عليه ووالديه وآله «**لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك**»[1] أي أنه تحرم مباشرة النساء في المساجد إلا للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وعلي عليه السلام ، فقد كان بيتاهما داخل المسجد الشريف .

وقد جاء في الحديث «ما من نبي قبض إلا دفن حيث قبض» وذلك يعني أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قد قبض في منزله داخل المسجد الشريف ودفن داخل المسجد الشريف . وهذا ينفي فتوى أدعياء التوحيد بعدم صحة الصلاة في مسجد فيه قبر ، وما تركوا الصلاة في المسجد النبوي الشريف إلا بغضاً في صاحبه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، وبعداً عن رحمة الله ، ويكفي هذا دليلاً على شقاوتهم وسوء مصيرهم وعاقبة أمرهم ، ومخالفتهم لصاحب الرسالة صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في أسلوب الدعوة إلى الله ، حيث قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «**بشروا ولا تنفّروا ويسروا ولا تعسّروا**»[2] كأنهم فهموا منه : نفّروا وعسّروا!!

---

(١) سنن الترمذي .

(٢) صحيح البخاري .

بشريّة الرسول وعصمته

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1]

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين به بالتدثُّر بالتقوى كي يتأهّلوا للإيمان برسوله الكريم قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ . . .﴾[2] ليتضاعف لهم الأجر وتزداد عليهم الأنوار، وتنزل عليهم سحائب الغفران بعد مضاعفة الرحمة ﴿. . . يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] وكذلك يتضاعف الأجر لمن يقنت لرسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إذا قنت لله . . قال تعالى ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾[4] ولقد جعل الله تعالى لنبيه نِعَماً خاصةً به بجانب نعمه تعالى

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣١.

حيث قال ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾[1] وجعل له فضلاً يُغْنِي به مع الله – مع عدم التفرقة بين الله ورسوله لأنّه قد جعل رميهُ رميه[2] وطاعتهُ طاعته[3] وبيعتهُ بيعته[4] – قال تعالى ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾[5] . وقال تعالى في عدم التفرقة بين الله ورسوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[6] . وسمح له في كل ما يفعل مسبقاً من قبل أن يأتيه وحي في أيّ أمر من الأمور قال تعالى ﴿لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[7] فالذي فعله الصحابة في أسْرِهِم بعض المشركين بدلاً من قتلهم وفي أخْذِهِم الغنائم عاتبهم عليه الله سبحانه وتعالى والرسول صلى

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٧ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٧ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٤) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٧٤ .

(٦) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ ، ١٥١ .

(٧) سورة الأنفال ، الآية : ٦٨ .

الله وبارك عليه ووالديه وآله لم يتقيد بما كان قبله من تشريع مَن سبقه من الأنبياء . فأحلّ لهم أخذ الغنائم . فتحرَّج الذين لم يَكمُل إيمانهم برسول الله في أخذ الغنائم ، أي فيما فعل رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . وإنها لمن الكبائر أن يتحرّجوا مما يفعل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . ولا يعني ذلك إلا شكّاً في عصمته واحتمال خطئه ، أو أنهم أحرص على دينهم في تصرفهم وأكثر ورعاً منه . .!!

فجاء التوضيح الإلهي أنّ هناك كتاباً سَبَق من الله ألا يمسّ النبي فيما يفعل شيءٌ مما كان يمكن حدوثه لغيره في الأمم السابقة إذا فعلوه ، فبالنسبة للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قد سبق كتابٌ بالعفو المسبق لما يفعل ، ليشمل العفو أصحابه ، الذين أخذوا الغنائم وأسروا بدلاً من أن يقتلوا . فهو بشر لا كالبشر كما يتبادر إلى ذهن العوام من فَهم لقول الله تعالى ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**﴾[1] فهي بشريّة من نوعٍ خاص ، لذلك جُعِلت أسوة حسنة ولولا خصوصيّتها لَما احتاجت إلى تعريفٍ بها ، ولا يكون التعريف إلا حين حدوث الجهل بالمعنى ، أو الشكّ في هويّته ، أو قصور المعرفة عن إدراك ذاته . فقصرت عقول من عاصروه عن معرفته ، واحتاروا وحدث لهم شكٌّ في بشريَّته لسُموِّها وعُلوِّها ومُثُلِها وصفاتها التي لا تدركها

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

العقول القاصرة . فهو يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، وتنام عينُه ولا ينام قلبُه ، ولا يَتبَعه فَيء ، ويُخاطِبُه الضَّب ويشهدُ له بالرسالة ، ويسجد له البعير ، ويُسلِّم عليه الحجر ، وتأتيه الأشجار تشقُّ الأرض شقّاً ، وينشقُّ له القمر ، وتُمطِر السماء بدعوته ، ولا تُمسِك إلا بدعائه ، ويبكي الجذع لفراقه . ويعيد عين قتادة المفقوءة المخلوعة إلى موضعها ، مُبصرةً كحلاء أحسن مما كانت عليه ، وتتوارث ذرّيّته جمال تلك العين ، وهو من عَلِيٍّ وعَلِيٌّ منه «**أنت مني وأنا منك**»[1] لأنه كان له بمنزلة هارون من موسى الذين كانا رسولين شريكين في رسالة واحدة «ألا يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» وجاء التنزيل من الله ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾[2] فأثبت له البشريّة ، كما أثبت بذلك قصور العقول لإدراك هذه البشريّة التي احتاجت إلى التعريف بها لِما لها من صفات جَلَبَت الشكّ لِتلك العقول القاصرة عن إدراكها ، فبقِيَت الذّات الشريفة متميِّزةً على الكل وأسوةً للجميع لأنها تمتاز عن بشريّةِ الخلقِ أجمعين! وحتى من ينتمي إليه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بالقرب والنسب له كِفل من هذه الصفات التي تُعجز العقول وتحير الافهام قال تعالى ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ**

---

(١) البخاري .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

مِّنَ النِّسَاءِ ﴾[1] . فكيف يكون هو كأحد الرجال وهو القائل «لست كأحدكم»؟!

لقد تحدث المسلمون بكلّ أسف في عصمة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، فمنهم من عارضها استناداً إلى ما جاء في كتب السنة من الأحاديث . وهذا يعني أنّ من عارضها استناداً على ما جاء في الأحاديث الواردة في الصحاح أنه أعطى هذه المصادر العصمة لأنّه أخذ منها كلّ ما جاء فيها – دون تفكُّر أو تدبُّر– حتى لو كان فيها ما ينتقص من القدر النبوي الشريف!! فالطعن في العصمة إذاً جاء من قِبَل إعطاء العصمة للمصادر التي جحدتها وقبول كلّ ما فيها ، وعدم قبول الطعن فيها– وهذا أمر يرفضه الشرع لأنّ العصمة لا تكون إلا لرسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله – كأنما خير للمرء عند هؤلاء أن يطعن في عصمة النبي استناداً على البخاري ومسلم حتى يُقال أنه عالم بالسنّة حافظ للأحاديث الصحيحة ، ولا يطعن في صحّة ما جاء في البخاري ومسلم ، ولو كان فيهما طعن في عصمة النبي التي جاء بها محكم القرآن :

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[2]

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] . . . . . ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[2] . . . . . ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3] . . . ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[4]

فالطعن في عصمة النبي هو في الحقيقة سلبُها عنه ، وإعطاؤها للمصادر التي أُخذ منها ذلك الطعن رغم قولهم «كل ابن أنثى يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر»[5] .

لقد أعطى المسلمون للبخاري ومسلم من القداسة ما لم يعطوه لآل البيت المنصوص عليهم . .! فالرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لم يوصِ أُمّته بالقرآن والبخاري ومسلم لحفظ المسلمين من الضلال بعده ، بل أوصى بالقرآن والعترة . . «**إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ،**

---

(١) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .

(٥) الإمام مالك .

وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1] . فالتمسُّك بالقرآن والعِترة هو المُنجي من الضلال بعد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . ولقد غابت أحاديث العِترة في البخاري ومسلم فلا نجد حديثاً للأمام الحسن عليه السلام ، ولا للإمام الحسين عليه السلام وهما سيدا شباب أهل الجنّة . وبهذه المنزلة العظيمة يستحيل أن يصدر عنهما حديثٌ كذب أو قولٌ غير سديد أو فعلٌ غير رشيد أو سلوكٌ غير حميد ، وإلا لما كانا سيّدي شباب أهل الجنّة . وكلّ أهل الجنّة شباب . ولا نجد فيهما حديثاً لسيِّدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام . ولا تبلغ الأحاديث التي رُوِيت عن باب مدينة العلم الذي كان من النبي بمنزلة هارون من موسى الشريك في رسالته ، لا تبلغ أحاديثه فيهما الخمسين . .!!! بينما مُلئت بأحاديث من لم يصحب النبي أكثر من سنة ونصف ، ولم يُذكر اسمه بل ذُكِر بكنيته فقط ، وضربه عمر بن الخطّاب ومنعه عن الحديث عن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . وقال عنه أبو حنيفة لا نأخذ من أحاديثه إلا ما كان في أمر الجنّة والنار . وأهل البيت هم سفينة النجاة من الضلال ، وهم الفرقة الناجية المنصوص عليها ومن تبعهم كذلك . وحَلَّ محل أحاديثهم في كتب السنّة ما يطعن في عصمة من أوصى عليهم صلى الله

---

(١) مسند الإمام أحمد .

وبارك عليه وآله . فنجد فيها ما ينتقص من قدره الشريف في العلم ، وفي الأخلاق التي بُعث ليتممها ، وفي معرفة الشئون الدنيوية التي بها قوام الحياة!!!

ومن العجائب أن نجد من يقبل بهذه الأحاديث النافية للإيمان والعقيدة لأنّ من يُنسَب له نقص في علمه أو في أخلاقه أو في إرشاده لا يمكن محبّته . وإذا انتفت المحبّة انتفى الإيمان لقول الحبيب صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين**»[1] وقد نُسب إليه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله نقص العلم في حادثة أسرى بدر ، وفي صلاته على عبد الله بن أُبي بن سلول ، وفي تأبير النخل ، وفيما أراد أن يكتبه في مرضه الأخير الذي رؤوا من الأفضل أن لا يكتبه لهم رغم قوله لهم إنه كتاب لا يضلون بعده أبداً!!! وقد نُسب إليه النقص في خُلقه حيث نسبوا إليه العبوس الذي هو من صفات الكُفر التي وصف الله بها أحدهم في قوله تعالى ﴿**ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**﴾[2]!! ونُسب إليه النقص في إرشاده حيث لم ينه - كما قالوا - في بيته المغنّيات حتى جاء أبو بكر وقال أمزامير الشيطان في بيت رسول الله لِيُصحِّح الدّين في بيت النبي

---

(١) مسند الإمام أحمد .

(٢) سورة المُدثر ، الآية : ٢٢ .

وحضرته صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . .!!!

من هذه الأحاديث وبهذه المفاهيم فسّر المسلمون ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**﴾[1] لينسبوا النقائص للذّات الشريفة المُقدّسة المعصومة ، الذي كان نبيّاً وآدم بين الروح والجسد ، فكيف تطاله العقول القاصرة بالوصف والمعرفة وهو الذي يمدحه من خلقه؟! وكيف يستقيم مِمّن مدحه بالخُلُق العظيم أن يصفه بنقص في مكارم الأخلاق التي بعثه ليتممها فيصفه بالعُبوس والتولّي من فقير أعمى جاء إليه يسأله عما بُعث به؟!!! لقد نسب المسلمون للنبي صلى الله وبارك عليه وآله في تبليغ رسالته التصرُّف بعكس ما بُعث به!!! فقد بُعث النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ليُتمّم صالح الأخلاق . فنسبوا إليه العُبوس في وجه من جاءه ليأخذ عنه صالح الأخلاق!!! ولَيتَهُم نسبوا ذلك لأبي بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم بدلاً من النبي المعصوم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حتى لا يطعنوا في تبليغ الرسالة ، ويقولوا إن النبي خالف ربه وتصرَّف عكس ما أمره وبعثه به ، وإنه كثيراً ما يفعل ذلك حتى يُصحّحه عمر بن الخطّاب فيوافق الله عمر . .!

جاء في صحيح مسلم عن عمر بن الخطّاب «**وَافَقت رَبّي فِي ثَلاَثٍ : فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ، وَفِي الْحِجَابِ ، وَفِي أُسَارَىَ**

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

بَدْرٍ» . وذلك يعني أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لم يوافق ربه في أسرى بدر بل خالفه ووافقه عمر ، وأنّ عمر سبق النبي في العلم بأمور الدين كاتخاذ مقام إبراهيم عليه السلام مُصلى وفي الحجاب . .! ومن الغريب أنهم ذكروا أن عمر انتقد النبي في تقبيل الحجر الأسعد ، ثم ينسبون إليه اقتراحه في اتخاذ مقام إبراهيم مُصلى وهو حجر أيضاً . .! ما أصدقك يا رسول الله فإنه والله «ما أوذي نبي مثلما أوذيت» فلا توجد أُمة آذت نبيها مثلما كان من أُمة محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إذ وصفوه بما يوصف به الكفار ، ونسبوا لأحد أصحابه قولاً مستحيلاً ، وهو أن يوافق ربه ويخالفه النبي . .! ورغم كل ذلك يقول يوم الحشر أُمتي أُمتي حينما يقول الرُسل نفسي نفسي ، صلى الله عليك وعلى والديك وآلك يا عظيم الخلق والخُلق .

ولو قلت إنّ الذي عبس هو عمر لهاج لذلك كثير من الناس ولأنكروا ذلك أشد الإنكار واستبعدوا حدوثه منه ، بينما لا يرون بأساً في حدوثه ممن شهد له الله بالخلق العظيم ، لأنّ بعض المفسرين ممن ليس لهم عصمة ذكروا ذلك . .! ولأنّ عمر – كما يرى معتقدو هذه الأحاديث– يوافق ربه ومحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يخالفه . .! .

لقد جاء الأمر الإلهي للمسلمين في تعاملهم مع النبي الكريم صاحب الخُلق العظيم بتعزيره وتوقيره وتسبيحه والصلاة

عليه قال تعالى ﴿**لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾[1] وقال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[2] فهل استجاب المسلمون للأمر الإلهي بتوقير النبي وتعظيمه وحفظ حرمته وقدره الجليل والدفاع عنه؟ هل آمن المسلمون برسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كما أُمروا بعد إيمانهم بالله والالتزام بتقوى الله كما أمر الله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ**﴾[3]؟ أم جعلوا له أنداداً من أُمته لهم سنن كسنته ولهم تشريعٌ كتشريعه؟! أم أنّهم تجاسروا ووقروا بعض أفراد أُمته كتوقيره وساووهم به؟ بل وربما رفعوا قدرهم فوق قدره وجعلوا تأييد الله لهم من دونه؟! وهل وصل بهم الحال في المخالفة للأمر الإلهي الذي أوجب توقير النبي وتعزيره والإيمان به والدفاع عنه وتعظيمه إلى أن ينسبوا إليه بعض الصفات التي يمتاز بها الكفرة؟!! فيقولون إن الرسول «عبس» كما فعل الكافر الذي قال الله فيه ﴿**ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**﴾[4]؟!! وهل يبقى من إسلامك شيء إذا وصفت النبي بما وصف الله به الكفار؟؟

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٩ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦ .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

(٤) سورة المدثر ، الآية : ٢٢ .

إني ابرأ إلى الله أن انسب إليه هذه الصفة ، وإني خصيم كلّ من يقول بذلك مهما كانت مكانته لأنّي لا أرى مكانة لمن ينسب إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله صفة لا يرضاها هو لنفسه ولا لأبيه ولا لابنه ولا لأخيه ولا لمن يحب أن يكون هو من مريديه!!! .

صاحب الخلق العظيم

قال تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[1] .

ظنّ بعض المفسرين ممن قعد بهم العجب عن إظهار حسن الأدب ، وقصرت بهم دعوى العلم عن بلوغ الأرب ، وأعمى بصائرهم عدم الحب عن رؤية عظمة من حاز كل العلم وما كتب ، ظنّوا أنهم فهموا كلام الله عن سيد العجم والعرب . فخاضوا في شرحٍ سقيم الفِكر ، وقدّموا للمسلمين في تفاسيرهم موائد الداءً والضرر ، لعدم معرفتهم قدر من في حقه أُنزلت السور ، وانحصارهم في أفق أنفسهم المليئة بالكدر ، فتكلموا عنه كالتكلم عن سائر البشر ، فانحرفوا بذلك عن

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٧ .

مقصود الحق في العِبر . وقالوا إنّ النبي تاقت نفسه لزوجة زيد ، وأخفى ذلك وخشي أن يطّلع عليه الناس ، فقال لزيد «أمسك عليك زوجك»[١] . وصادف ذلك عند بعض الناس هوى ، لجنوح النفوس وميلها إلى السوى ، فكان لا بدّ لهذا من الدواء ، ومحاولة معالجة ما خامر النفوس من هذا الداء .

فبالله أقول إنّ الله تبارك وتعالى قد جعل في هذه الآية لنبيه من علو القدر وعظم الجاه ، نعماً خاصة به بجانب نعم الله تعالى ﴿أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ ولا عجب فقد جعل الله له فضلاً يغني به كما لله تعالى فضلاً يُغني به!! قال تعالى ﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ من فَضْله**﴾[٢] . وقال تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّـهُ سَيُؤْتِينَا اللَّـهُ من فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّـهِ رَاغِبُونَ**﴾[٣] . بل جعل الله طاعته طاعته وبيعته بيعته في قوله تعالى ﴿**مَّن يُطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ**﴾[٤] وقوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّـهَ**﴾[٥]

---

(١) البخاري .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٧٤ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٥٩ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٥) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

فكيف بصاحب هذا المقام العلي الذي مدحه الله بقوله ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1] ، كيف به أن تتوق نفسه إلى امرأة في عصمة زوجها؟! ويُخفي ذلك لأنه يخشى أن يطّلع عليه الناس؟؟ وما يُخشى اطِّلاع الناس عليه فهو من المساوئ . . ، فما هذا الذي أخفاه الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في نفسه – كما يقولون – من المساوئ وأبداه الله؟ هل أعلمنا الله أن محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كان يحبّ زينب وهي في عصمة زوجها زيد؟ ويُخفي ذلك بقوله (**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**)! وأنّ الله فضحه بأن أبدى ذلك الذي أخفاه للناس؟؟ كيف طابت نفوس هؤلاء المفسرين بأن يقولوا مثل هذا القول؟ وهو خُلق يترفع عنه من كان يرجو المحافظة على دينه ، ناهيك عن من شرع الدين للناس ، وهو قدوتهم في السلوك في الظاهر والباطن ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾[2] ومدحه الله بعظيم خُلقه!! سيد ولد آدم من بيده لواء الحمد والنبيون آدم ومن دونه تحت لوائه؟ (وَتَخْشَى النَّاسَ) ما هذه الخشية؟ قال علي عليه السلام «كنا إذا اشتد الوطيس نستتر برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله» . فأيّ خشية هذه؟ أهي أن يطّلع

---

(١) سورة القلم ، الآية : ٤ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

الناس على أنه يتوق لزينب وهي في عصمة زيد ؟؟ أهكذا يفسّر القرآن في حق صاحب الخُلق العظيم؟؟ وماذا أبدى الله غير زواجه منها؟

أقول وبالله التوفيق إن هذه الآية نزلت في مدح رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . ففي بدايتها جعل الله لرسوله صلى الله وبارك عليه وآله نعماً كما لله نعم كما ذكرنا آنفاً (أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) وأنّ الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لما بلغ من الخُلق العظيم أمر زيداً بأن يمسك عليه زوجه ، رغم أنه كان يعلم أنّ زينب من زوجاته اللاتي كتب الله له . فأخفى علمه هذا عن زيد (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) أقول أخفى علمه بأنها من زوجاته ، وهو الذي أبداه الله (زَوَّجْنَاكَهَا) لا شعوره بحبّه لها كما فسره المخطئون – خشية أن يتأذى زيد لو أخبره بذلك العلم لأنّ زينب كانت زوجة زيد حينذاك . وهذا معنى قوله تعالى (وَتَخْشَى النَّاسَ) . أي تخشى أن يسمع الناس منك ما يؤذيهم ولو كان علماً حقاً وذلك لسمو أخلاقك . ﴿**وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾ بإظهار علمك الذي أطلعك الله عليه «بُعثت معلِّماً»[1] ليعلم زيد وغيره من الناس أن زينب هذه ممن كتب الله لك من الأزواج ، رغم أنها كانت في عصمته . ولكن خُلقك العظيم صبغ علمك

(١) ابن ماجة والدارمي .

يا مدينة العلم صلى الله عليك وعلى والديك وآلك! ﴿**صِبْغَةَ اللَّـهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّـهِ صِبْغَةً**﴾[1] . والعلم من الصفات الإلهية والأخلاق من الصفات البشرية . فكسوت علمك أخلاقاً ودثّرت الجلال بالجمال . والحق جلال لا يطاق . . «لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره»[2] . ولكنك برزخ الحق والخلق ، والجلال والجمال ، وما أبديت للخلق منك إلا الجمال . فحبَّك الكل الحق والخلق . فصرت للحب أساساً ، وللطف والرأفة والرحمة نبراساً ، ولستر الناس في الدنيا والآخرة بالشفاعة لباساً . وكنت لهم بنعمتك عليهم من خزي الذنوب مبدلاً لتعسهم ، وخالعاً جذور بؤسهم ويأسهم ، لأنك ﴿**أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾[3] لحرصك على مظهر نقائهم وطُهرهم ، لأنك ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[4] صلى الله عليك وعلى والديك و آلك وعلى من يصلي عليك .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٨ .

(٢) مسلم .

(٣) سورة الأحزاب ، آية : ٦ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

الإسم الأعظم

قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]

المثل يضرب لتبيين أمر واقع بأمر آخر أكثر قوة في وقعه على السامع ، ليعرف حقيقة الأمر الواقع المضروب له المثل حتى يتضح بصورة كاملة عنده . ولا يشترط فيه المساواة للمضروب له المثل بل في الغالب يكون اقل درجة منه إذ القصد هو التوضيح وإظهار الصورة . لذلك لا بد من أمرين : المثل المضروب ، والمضروب له المثل . وفي هذه الآية العظيمة نجد أن المذكور هو المثل وحده مع غياب المضروب له المثل! وما ذلك إلا لخطورته وعظمته حتى لا يدركه إلا من كان من أهل

(١) سورة الحشر ، الآية : ٢١-٢٣ .

الدراية والمعرفة . فإنّ من العلم كهيئة المكنون ، وهنالك من ينظر ولا يرى وهناك من يسمع ولا يعي . قال تعالى ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـكِن لاَّ تُبْصِرُونَ**﴾[1]

وقال تعالى ﴿ . . . **وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** . . .﴾[2] فليس كلّ من ينظر يبصر ، وليس كل من يسمع يعي . وليس فوق القرآن عظمة . فعزّت معرفته أن تكون عند كل قارئ . فكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه . فكما أن الشكور من عباد الله قليل لقوله تعالى ﴿ . . . **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[3] فكذلك أهل المعرفة المتدبرين للقرآن بل هم أقلّ . قال تعالى ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** . . .﴾[4] فإنّ لكل قلب قفل لا يكون قابلاً للفيض إلا إذا فضّ قفله . فكثير من القلوب غلف تحتاج إلى الطهارة ، لتكون قابلة لدخول الرحمة فيها ، وإلا فستكون عقيمة لا يلجها الخير أصلا كالأرحام ، أما «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[5] كما جاء في الحديث فيرون فيه ما لا يرى الناس ويعلمون منه ما غاب عن الآخرين . قد فتح الله بصائرهم

---

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٨٥ .

(٢) سورة الحاقة ، الآية : ١٢ .

(٣) سورة سبأ ، الآية : ١٣ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٨٢ .

(٥) المستدرك على الصحيحين .

وفض أقفال قلوبهم وملأها نوراً وحكمة فيبصروا ما لا يبصر الآخرون ويعوا مما يسمع الناس ما غاب عن وعي الناس رغم سمعهم .

وقد ذُكر أن اسم الله الأعظم في آخر سورة الحشر . ولا يدخل الشيطان بيتاً قُرِئَت فيه مما يدل على تميزها وعظمتها . وفيها الإشارة إلى عظمة القرآن وقوّته التي لا تطيقها الجبال الراسية . والمثل من عند الله حق . فإن الجبلَ إذا أُنزل عليه هذا القرآن خشع وتصدع . وهذه حقيقة ليس المقصود منها التهويل . وحاشا أن يكون في قول الله غير الحق ، وهذه الآيات مثل مضروب ، فأين المضروب له المثل؟ إن هذا المثل يعني أن القرآن لم ينزل على جبل ، ولو أُنزل عليه لخشع وتصدع . ولا بد من إنزاله . فحيد عن هذا الذي يتصدع إلى من يستطيع تحمل نزوله دون أن يتصدع . فأين ومَن هذا الذي فاق الجبال قوة عند إنزال القرآن عليه ولم يتصدع وشمخ فوق شموخ الجبال؟

إنه أمر فوق تصور البشر ولا يوجد مخلوق يكون بهذه المنزلة ، وهذه القوة التي تفوق الجبال إلا إذا كان الله سمعه وبصره ويده ورجله! وليس ذلك إلا النبي محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ . . .**﴾[1] وقال ﴿ **. . . وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ**

(١) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

﴿وَلَـكِنَّ اللَّـهَ رَمَى . . .﴾[1] .

وفي هذه السورة الكريمة كما قلنا ذكر الله هذا المثل العظيم وسكت عن المضروب له المثل لعظمته ، حتى لا تبصره القلوب الغلف ، والنفوس الضعيفة المريضة ، التي لا قبل لها به لظلمانيتها - رحمة بها- فتنكره وتهوي بها الريح في مكان سحيق . فمن الناس من لم تتعد رؤيته لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في كونه يتيم أبي طالب . . ، ومنهم من لم تتعد رؤيته له في كونه محمد بن عبد الله ، مجرداً عن حبّ الله له ، وصلاته عليه ، واصطفائه له دون جميع خلقه واختصاصه بالرسالة ، وأخذِ العهد على جميع أنبيائه للإيمان به ونصرته !! ومنهم من لم تتعد رؤيته له في كونه بشر مثل أي واحد من هذه الأمة ليس له مزية على أحد ، أُعطي الرسالة فبلّغها وانتهى دوره برحيله إلى الرفيق الأعلى ، ولا ينفع أحداً بعد ذلك . .! ومنهم من يجتهد في إثبات خطأ ، وتنشرح نفسه الخبيثة حين تتصور وجود خطأ سلوكي كي يتشدق به منسوباً إلى الذات الشريفة المحمدية المقدسة المعصومة . بل منهم من يرى أن من أمته من له مزية عليه في العلم بالتشريع في بعض المواقف ، وأنّ الله أيده وترك رسوله . .! ومنهم من يرى أن الرسول صلى الله وبارك عليه والديه وآله يخطئ في أداء رسالته

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١٧ .

– وهذه رؤية ناقد – كما قالوا أنه بُعث ليتمم مكارم الأخلاق وتصرف مع المسكين الأعمى بعكس ما بُعث به . .! وذلك على الرغم من نهي الله سبحانه وتعالى الصريح الواضح للمسلمين عن الاعتراض عليه لقوله ﴿ . . . **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** . . .﴾[1] بل نهى سبحانه عن رفع الصوت عنده بدءاً بأبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فكيف يجرؤ بشر بعد هذا على نقد فعل النبي وتخطأته؟ اللهم إلا من يظن نفسه أنه هو المعصوم الأكبر وليس النبي صلى الله وبارك عليه وآله . .! فلا يكون قد ترك من الكفر شيئاً . فالإيمان لا يكون إلا بالتسليم المطلق للنبي صلى الله وبارك عليه وآله في كلّ ما يفعل ، وما يأمر ، وما يحكم به دون تردد أو حتى أدنى تفكير في التردد قال تعالى ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[2] .

إن الخفافيش يؤذيها ضوء النهار . والدرر لا تلقى في وجوه الخنازير . وهذه من بعض أسباب ضرب المثل وحذف المضروب له المثل! فأنوار التجلي لا يماثلها ضياء ، وهي القاهرة فوق جميع الأشياء ، والنبي محمد صلى الله وبارك عليه وآله هو التجلي

---

(١) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .

الأعظم ، ومجلى الذات المطلسم ، فإنّ الله تبارك وتعالى لم يصلّ على أحد قبله تحديداً . ولم يجعل طاعة أحد من خلقه طاعته إلا هو ، ولم يجعل البيعة لأحد من عباده بيعته إلا لمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!!! .

فَلِمَ كان ضرب المثل؟

قال العارفون إنما كان لإظهار قيمة المضروب له المثل . وذهب بعضهم إلى أنّ القصد هو أن يعلم الناس عظمة القرآن ، وأنّ الجبال الصم الرواسي لا يمكنها الصمود أمام إنزال القرآن عليها ، على الرغم من أنّ الله سبحانه جعلها أوتاداً لكوكب الأرض لتثبيتها . ولو أُنزل عليها لا تملك إلا التصدع والانهيار والذوبان من خشية من أنزله عليها . وهذا حق يبين عظمة وثقل القرآن العظيم . ولكن لا يقف الأمر هنا بل لا بد من العبور إلى المضروب له المثل . . إلى من أُنزل عليه هذا القرآن حقيقة وكيف حاله حين أُنزل عليه؟ هل تغيرت بشريته؟ هل طرأ عليه تغيير خرج عن المألوف . .؟ هل انهار وتصدع أمام هذا التجلي؟ كلا ثم كلا . . . ظلّ كما هو صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يتحمل ما تعجز عنه الجبال! لأنه مجلى الذات ﴿**إِن الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ . . .**﴾[1] لأن الله سمعه وبصره ويده ورجله . . ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى**

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1] قال تعالى ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ . . .﴾[2] فمحمد حقّ نزل الحق به وكذلك جعله الله ، فلا يتحمل غير الحقّ إنزال القرآن عليه . قال تعالى ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّـهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ . . .﴾[3] وقد ورد (إنّ الجنة حق وإنّ النار حق وإن الساعة حقّ وإن محمداً حقّ) . ﴿هُوَ اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّـهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّـهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4] .

---

(١) سورة الحشر ، الآيات : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١٠٥ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٨٦ .

(٤) سورة الحشر ، الآية : ٢٣ ، ٢٤ .

حرمة النبي

كان صاحب الخلق العظيم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يحب الحلو البارد ، فقامت إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها – قيل إنها زوجته ماريه – بالاهتمام بهذا الأمر . فأحضرت عسلاً صارت تسقيه منه كلما حضر إلى دارها . فكان النبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يأتي إلى دارها قبل ذهابه إلى زوجته التي لها تلك الليلة ، وقد لاحظت اثنتان من أمهات المؤمنين تردد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله على السيدة ماريه رضي الله عنها . ولم يرق لهما ذلك . وبحثتا الموضوع حتى عرفتا بأمر العسل . فاتفقتا على كيفية منع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله من الذهاب إلى زوجته ماريه . واتفقتا على أن تقول كل واحدة منهما للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إذا جاء إليها أن رائحة فمه الزكي متغيرة لعلة أكلٍ أو شرب . فإذا قال إنه لم يشرب إلا عسلا حينئذ تقول له : لقد أكل نحله نبات العرفج ، وهو نبت كريه الرائحة . وتمت المؤامرة . .!! فجاء النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إلى دار إحدى الزوجتين المتآمرتين بعد أن مرّ

على منزله عند السيدة ماريه . فسألته افتراءً عن تغير رائحة فمه الزكي . فأجاب بأنّه شرب عسلاً . فقالت : لقد أكل نحله نبات العرفج . فتأذى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أن يصدر منه أو يتسبب في إيذاء أقرب الناس إليه كزوجاته بسبب حبّه للحلو البارد . .! وكم من زوجاته تكون قد تأذت من رائحة العسل ولم تصدر منهن شكوى حياء منه . .! وهو صاحب الخلق العظيم . .! فكيف يصدر عنه ما يؤذي زوجاته من تغير رائحة فمه دون مراعاة منه لذلك ، وهو القائل «**خياركم خياركم لنسائهم**»[1]؟ فحرّم شرب العسل على نفسه لئلا يؤذي إحدى زوجاته أمهات المؤمنين !! والله رقيب ومطلع على الأمر كلّه يرى ما كان من أمر حبيبه ورسوله الكريم في تركه ما يحب ليرضي أزواجه – اللاتي لا يفكرن في غير أنفسهن لا في سعادته وراحته – بينما الأمر في حقيقته تآمر عليه ليمنعاه مما يحب ، ويحولا دون شربه للعسل الذي قال الله فيه شفاء . فبينما هو يسعى لمرضاتهن ، فإذا هنّ يسعين أولاً لإيذائه بإشعاره بتغير رائحة نفسه الزكي كذبا – وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أن يصدر عنه غير الطيِّب والطّيب – وثانياً لمنعه من شرب ما يحب . فجاء الخطاب الإلهي مؤانساً للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ،

---

(١) سنن بن ماجة .

وكاشفاً له أبعاد التآمر من زوجاته اللاتي سعى لمرضاتهن بتركه ما يحبّ كي لا يؤذيهما . قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1] فما ينبغي أن يكون لهما من القدر عندك ما تحرم لأجله ما أحله الله لك . فليس لأحد عند الله قدر كما لك فلا تحرم ما أحلّه الله لك لأجل شخص آخر ، مهما كانت منزلته عندك . ففرض الله سبحانه وتعالى التحلّة من الأيمان حتى يرجع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إلى شرب العسل ، ولا يترك ما يحب من أجل من سعين إلى منعه عن ذلك بتحايل افتقد الصدق في كليته قال تعالى ﴿**قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[2] فالله مولاه ولن يتركه ليضيق على نفسه من أجل من تسبب في مؤامرة لم تقف عند محاولة منعه من شرب العسل وحده ، بل امتدت إلى أمر بالغ الخطورة . . أمر يستدعي التدخل الإلهي وجبريل والملائكة . . ألا وهو إفشاء أسرار النبوة والتظاهر ضدّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . .!

قال تعالى ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا . . .**﴾[3] .

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ١ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ٢ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٣ .

إنّ الذي يأتمنك على سرّه فقد اختارك دون الخلق كلهم دون أدنى شك واختصك بذلك السر . وهذا يعني مدى مكانتك عنده من الثقة الكبيرة التي وضعها فيك ، وظنّه الوفير في محافظتك على سرّه ودواخل قلبه . وهذا يفرض عليك بالمقابل احتراماً زائداً وحباً مضاعفاً وإخلاصاً تاماً لمن اختصك بما لا يجب أن يطَّلع عليه أحد من الناس . وأقل ما يمكن أن تقدمه له هو المحافظة على سرّه ، فإنّ من أقبح القبيح إفشاء سرّ من وضع فيك ثقته وأتَمَنَكَ عليه . فإخراج ما اؤتمنت عليه لغير صاحبه هو الخيانة وضياع ما أؤتمنت عليه! ويعظم السر بعظمة صاحبه ومكانته . فلا يكاد يُغتفر جُرم من أفشى سرّ الحاكم أو الملك ، فإنّ ذلك يقود إلى الهلاك لا محالة . لأنّ مفشيه قد أخرج إلى الناس ما لا ينبغي أن يطَّلعوا عليه لخصوصيته . وأقل ما يمكن من عقاب لمن أفشى السر ، هو إخراجه عن دائرة الموثوق بهم ، وعن قلب المحب ، إن لم يكن ما فعله قد وضعه في قائمة الأعداء . .! ولا يسمى هذا عقاباً بل هو موقف يحتّمه التصرف الطبيعي المنصف . فلا يرجى من المطعون بإفشاء سره أن تزداد ثقته بمن أفشى سره ، أو تستمر محبته له كما كانت عليه من قبل فعلته الشنعاء المؤذية . .!

ويزداد الأمر هولاً إذا كان السرّ لرسول الله ونبيه . .!! فإنّ من يفشي سرّ النبي فقد فَقَدَ كلّ الثقة تماماً عند من أسرّ له ، وعند كلّ من يحبّون النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله .

وتنتفي المحبة بفقدان الثقة ، إذ لا يمكن أن تحب من لا تثق به . وإفشاء السر من أكبر أنواع الأذى ، وقد حصل ذلك لحضرة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله من قبل إحدى زوجاته حين نبأت بسره ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ** . . .﴾[1] وأخرجت ذلك السر إلى أناس لا يريد النبي أن يصلهم ذلك السر .

﴿ . . . **وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ** . . .﴾[2] وعلم بإفشاء السر تأذى النبي من أن يظهر عليه أمر لم يكن يرغب في إفشائه ، فاضطر النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إلى أن ﴿ . . . **عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ** . . .﴾[3] لأولئك الذين تسرب إليهم السرّ وكان لا بد من مساءلة من أفشت سرّه ، أو على أقل تقدير إعلامها بتفريطها في ما أؤتمنت عليه وفقدانها للثقة ، وأنها أفشت ذلك السر العظيم . . وأي سرّ من النبي عظيم لعظمة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . ﴿ . . . **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ** . .﴾ .[4] وفاجأها بعلمه بإفشائها لسرّه ، وذلك لتعلم سوء إفشاء السر وما فعلته ﴿ . . . **قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ**

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ٣ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ٣ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٣ .

(٤) سورة التحريم ، الآية : ٣ .

هَـذَا . . .﴾[1]؟ وهذه ليست إجابة معتذر ، أو نادم عما فعل ، وكان يجب عليها الاعتذار وطلب المغفرة والرحمة بدلاً من هذا الرد الذي خـلا من الليـاقـة ، فـالإجـابة لحـضـرة النبي لا تكون بسـؤال ولكن النبي الرؤوف الرحـيم يرد على سـؤالهـا رغـم أنه خلا من الاعتذار عن إفشاء السر . .!! ﴿ . . . **قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾[2] وسـارعت تلك الزوجة لإشـراك رفيقتـها في الأمر بعد أن انكشف أمرها في إفشائها السر . ولكنّ الله سبحانه لا يترك الأمر يمرّ بهذه الصورة ودون اعتذار للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فيـقول سبـحـانه ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّـه فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا . . .**﴾[3] فيعطيهـما فرصة التوبة إكراماً لنبيه صلى الله وبارك عليه ووالـديه وآله . ثم يتـوعدهمـا سبـحـانه إن همـا بادرتا بالتظاهر عليـه وتأليب من أُفـشي لهم السـر ؛ أولئك الذين لـم يكن النبي راغـبـاً في أن يطَّلعوا على سـره ، ولا شك أنهم من المقـربين لزوجـتـيـه لأنّ السـرّ لا يفـشي إلا لقـريب أو حـبـيب . لقـد أفشت تلك الزوجـة من سـرّ النبي مـا كـادت أن تقود به مع صاحبتها أول وأخطر تظاهرة في تاريخ الإسلام ضدّ النبي صلى الله وبارك عليـه ووالـديه وآله بالاشـتـراك مع من

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ٣ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ٣ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٤ .

أفشتا لهما بالسر من الأقارب – لأن السرّ لا يفشى إلا لقريب كما ذكرنا – ممن كانوا حول النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله من الذين آمنوا ؛ كما أفشت من قبل امرأة نوح وامرأة لوط أسرار أزواجهما . وخانتاهما وكانت التظاهرة التي تسببت فيها امرأة لوط قد بلغت من لوط عليه السلام مبلغاً حتى ﴿**قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾[1] .

قال النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «يرحم الله لوطاً فإنّه قد كان يأوي إلى ركن شديد» فكانت حماية لوط عليه السلام الملائكة ضدّ تلك التظاهرة ﴿**قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ . . .**﴾[2] ولكن التظاهرة ضد رسول الله محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لن تمرّ بسهولة كما ظن الذين أعدوا لها ، ليسببوا العنت والضيق والمشقة لمسيرة الرسالة . ولن يُدعى لها الاحتياطي من الأمن المركزي أو شرطة مكافحة الشغب أو الأسطول السادس!!! فإن كان لوط عليه السلام يأوي إلى ركن شديد وكانت حمايته ملائكة الرحمن في مواجهة زوجته ومن أفشت لهم السر ، فإنّ هذه التظاهرة ستقابلها قوة لا قبل للكون بها . ليعلم من يريد أن يعلم ومن لا يريد أن يعلم عظمة الحماية لدى المتظاهر ضده . .

---

(١) سورة هود ، الآية : ٨٠ .

(٢) سورة هود ، الآية : ٨١ .

الله وجبريل وصالح المؤمنين (علي عليه السلام) والملائكة . أنزل الله تعالى تهديده لزوجتي النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿ . . . **وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾[1] ولا يقف الوعيد الإلهي عند هذا بل يستمر بالتهديد لهما بالطلاق من حبيبه ورسوله الذي لم يرد سبحانه وتعالى أن تكون الرسالة مصدر شقاء له . ﴿**طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾[2] فيقول لهما سبحانه وتعالى : ﴿**عَسَى رَبُّهُ . . .**﴾[3] ولم يقل ربكنّ أو رب العالمين لإظهار خصوصيته صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿ . . . **إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ . . .**﴾ إنّ الذي يؤذي رسول الله لا يثبت له إسلام فلإسلام مربوط بالتسليم لرسول الله ﴿ . . . **مُّؤْمِنَاتٍ . . .**﴾ فإن الإيمان هو حب رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لقوله «لا يؤمن أحدكم حت أكون أحب إليه من نفسه ووالديه وولده والناس أجمعين» ﴿ . . . **قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**﴾[4] حتى تعلما أنه

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ٤ .

(٢) سورة طه ، الآيات : ١ ، ٢ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٥ .

(٤) سورة التحريم ، الآية : ٥ .

لا قيمة لهما عند الله إلا بنسبتهما إلى رسول الله والقيام بحقه وواجبه . فالنسبة للنبوة وحدها دون حفظ الحرمة لا تكفي لصحبة ولا لزوجة كما جرى لامرأة نوح وامرأة لوط .

من أجل هذه الأذية التي أوذيها نبي الله (إفشاء السر) والتظاهرة التي أعد الله لها نفسه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة . . بدأ الحق سبحانه هذه السورة القول لنبيه وحبيبه مؤانساً بلطفه الإلهي ؛ ومعاتباً له في التضييق على ذاته الشريفة ، لتركه شرب العسل الذي يحبه من أجل مرضاة أزواجه اللاتي بدأن بالإعداد لأول تظاهرة في الإسلام ضَّده قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ** . . .﴾[1] فما أرسله ليشقيه بل أرسله لأنّه يحبه ﴿**طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ فإنّ الله غيور على عباده لأنّ «الخلق عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله»[2] فإذا كان الله سبحانه غيور على عباده ، فهو على حبيبه أشد غيرة لذا لم يسمح للذباب أن يمسه ، ولم يسمح للظل أن يتبعه ، ومنع الشيطان أن يتمثل به ، ومنع الحلم عنه ، وحرم الجنة على من يعصيه ، وحرم على الخلق جميعاً رفع أصواتهم فوق صوته ، وإلا أحبط أعمالهم ، ومنع التخاطب معه

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ١ .

(٢) مكارم الأخلاق للطبراني .

كـمـخاطبة الآخـرين ، وأن لا يُدعى كـما يُدعى سائر الناس ، وأوجب على نفـسـه أن يعطيـه حـتى يرضـيـه ، وأن لا يردّ له شفاعة حتى فيمن وجبت له النار من أهل الكبائر ما لم يكن مبغضاً للنبي وأهل بيته . لذلك فإنّ من آذى رسول الله فقد آذى الله جلّ وعلا . فالله سبحانه يقول ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ** . . .﴾[1] ويستحيل على مخلوق أن يطال خالقه بالأذى . فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فلا قدرة له على إيصال الأذى إليه تعالى وتقدس . فثبت من ذلك أن أذية الله هي في الحقيقة أذية حبيبه ورسوله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . ورغم هذا يقولون إن بعض زوجاته أحبّ نسائه إليه ، وهذه الشواهد القرآنية لا تتفق مع ما يقولون . أضف إلى ذلك أن النبي صلى الله وبارك عليه والديه وآله قد حذّر إحداهن من أن تنبحها كلاب الحوأب ، فنبحتها على الرغم من قوله تعالى ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** . . .﴾[2] .

ثم يتوجه الخطاب الإلهي بعد التهديد لزوجتيه إلى أقربائهن وأهليهن الذين تم إفشاء السر لهم والذين كان يمكن دخولهم في تلك التظاهرة الخطيرة لولا حكمة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ومداراته لهم حيث عرّف لهم بعض

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٧ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

الأمر ، وأعرض عن بعضه شفقةً عليهم من الوقوع في الفتنة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[1] ليعلم كل من كان من الذين آمنوا قدره فلا يعدوه ، فيأخذ من النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ما آتاه ويترك ما نهاه عنه . وهذا تحذير للذين آمنوا وترهيب ليلزموا الأدب مع النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، ويعود إليهم التحذير الإلهي بعد مخاطبة الكفار وعدم قبول عذرهم . . ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[2] يعود إليهم ثانية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ . . .**﴾[3] التي اقترفتموها بدخولكم في ذلك الأمر الذي لعبت فيه زوجتاه الدور الأساسي لقيادة التظاهرة ﴿ . . . **وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ . . .**﴾[4] في ذلك اليوم العظيم ﴿ . . . **يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا**

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ٧ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٨ .

(٤) سورة التحريم ، الآية : ٨ .

مَعَهُ . . .﴾[1] الذين لم تحدثهم أنفسهم بالتظاهر ضده ﴿ . . . **نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2] ويتواتر الغضب الإلهي في إظهار القوة للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[3] والغلظة ليست في طبع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فلا تصدر عنه إلا بأمر إلهي ولذلك أُمر بها هنا . ودخول المنافقين في الصورة فيه تخويف للذين آمنوا . وقد يقول من قرأ التاريخ الإسلامي الذي لعبت فيه الإرادة السياسية ، وتدخلت فيه أصابع اليهود ، وما كان من الدس نتيجة للحسد الاجتماعي ، وخطأ الناقلين ، وسوء حفظ بعض الرواة ، والوضع المتعمد للأحاديث ، قد يقول كيف يكون ذلك من زوجات النبي؟

فيجد الإجابة في السورة الكريمة نفسها ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾[4]

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ٨ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ٨ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٩ .

(٤) سورة التحريم ، الآية : ١٠ .

فالتقدير لهما بنسبتهما للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لا يكون إلا إذا قامتا بحقه ومراعاة قدره ومكانته وحفظ حرمته وسرّه لمكانته عند الله . .!

زاد الله تعالى الأمر بياناً في أن الزوجية لا تأثير لها إلا بموافقة عمل الزوج والإخلاص له في قصة امرأة فرعون التي لم تدخل معه النار كزوجة لكراهتها لما كان يعمل ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[1] ويختم الحق سبحانه السورة بقدوة النساء الصديقة مريم التي حفظت حرمة نفسها وراعت الله في سلوكها قانتة له مصدقة بكلماته وكتبه ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾[2] .

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ١١ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ١٢ .

عبوس الكافر وتوليه

صدرت الإرادة الإلهية – لا مسبوقة بزمن – في أكمل إبداعاتها بإبراز تاجها الأجلّ الأعظم من حيث الخَلق والخُلق ، عن علم إلهي ، هو مطلب الحياة الأزلية . فأشرقت القدرة في الوجود بإظهار حبيب الأزل محمد وصلى عليه الله وملائكته قبل بروزه في عالم الحس قبل الزمن! وما الزمن إلا الليل والنهار الناتج عن حركة الفلك الكبرى التي ليست هي عين الزمن ﴿ . . . **وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾[1] فأحبه وأكرمه وصلى عليه وأعطاه حتى أرضاه ، ومدحه بكلامه الأزلي القديم ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2] فخلا طبعه الذي فطر عليه من الغلظة التي تنتفي وجوباً لتضادها وجود المدح الإلهي له . ويؤكد الحق سبحانه ذلك– خلو طبعه عن الغلظة– في قوله تعالى ﴿ . . . **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ**

(١) سورة يس ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة القلم ، الآية : ٤ .

حَوْلِكَ . . .﴾[1] وكان إذا برزت حاجة إلى الغلظة لموقف من المواقف جاءه أمر إلهي بها **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[2] .

قيل إنّه جاء رجل أعمى إلى من جبل على عدم الغلظة ، الممدوح من قبل خالقه العظيم بعظيم الخُلق ، ليسأله عما بعث به ، وهو مكارم الأخلاق . فقد قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[3] وكان عنده صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أحد الكفرة – قيل هو أُبي بن خلف وقيل عتبة بن ربيعة – يريد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله له أن يتزكى بالإسلام ، ويخرج من ظلمات الشرك ، فلم يكن منه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إلا أن مال بكليته إلى ذلك الأعمى الذي جاء يسعى إليه في خشية من الله . وهذه هي مكارم الأخلاق الذي بُعث بها صلى الله وبارك عليه وآله ليتممّها والتي تنسجم مع ما مدحه به الله سبحانه من الخُلق العظيم ، ويستحيل أن يصدر عنه غير ذلك في تبليغ رسالته ، وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أن يعبس في وجه أعمى وهو لا يرى ، أو يتلهى

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٧٣ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي .

عنه بتصدّيه لكافر لم يسلم بعد ، كلا ثم ﴿**كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ**﴾[1] . فغضب ذلك الكافر وعبس في وجه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، وتولّى كما عبس وأدبر قبله أخوهُ في الكفر الذي قال الله فيه ﴿**ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ**﴾[2] – إذ العبوس صفة من صفات الكفار– وقام لعنه الله من مجلسه وتولى وأدبر مستغنياً عن هذا الذي يفضّل الأعمى عليه . والنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يتصدى له لإخراجه من ظلمة الشرك وتزكيته بنور الإسلام ، وما كان الله تعالى وهو حبيب محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ليترك التصرف من ذلك الكافر في وجه حبيبه دون تقريع ولا إدانة فقال تعالى فيه ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى**﴾ ذلك الكافر في وجه رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿**أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى**﴾ ويتوجه الخطاب الإلهي إلى ذلك الكافر مباشرة مبيناً له جهله ، وأنّ هذا الأعمى يرجى له أن يتزكى ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾ ثم يتوجه الخطاب الإلهي إلى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿**أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى**﴾ ما أعظم أخلاقك وأوسع حلمك الذي يجعلك تتصدى حتى لمن استغنى ،

---

(١) سورة عبس ، الآية : ١١ .

(٢) سورة المدثر ، الآيات : ٢٢ ، ٢٣ .

إشفاقاً عليه ، وما ذلك إلا لأنك الرحمة المهداة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[1] . ولم يقل للمسلمين فقط . .! وذلك يعني شمول الرحمة للكفار والجنّ وغيرهم . صلى الله عليك يا رحمة الله الواسعة ، فلا تشغل نفسك ولا تهتم بتوليه عنك واستغنائه إذ ليس عليك إلا البلاغ ، ولا تكلّف نفسك أكثر من ذلك ﴿**وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى**﴾ ثم يمدح الله نبيه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله باهتمامه وعدم تلهّيه عمن جاءه يسعى . فتصرفه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كان عكس ما فعل الكافر . فالكافر ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى**﴾ وأدبر عن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الذي هو أعظم خلق الله وأجلّهم وأشرفهم الذي أقبل على الفقير الأعمى ولم يتله عنه ﴿**وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا . . .**﴾ فليس ذلك من طبعك الذي جبلت عليه صلى الله عليك وعلى والديك و آلك ﴿**كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ**﴾[2] ﴿**. . . وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[3]

وقد ذكر أيضاً أن ابن أم مكتوم عاش في المدينة المنورة ، وكان يؤذن فيها قبل بلال لصلاة الصبح ولم يكن آذانه بمكة ،

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٢) سورةعبس ، الآيات : ١١ ، ١٢ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٥٤ .

وسورة «عبس» مكيّة بالاتفاق فإذا كان ذلك كذلك فلا يصح شيء أصلاً من نسبة ما قيل في هذا الأمر كحديث «أهلاً بمن عاتبني فيه ربي» ، وكلّ ما قيل في نسبة العبوس إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في وجه أعمى .

وقد ورد أيضاً أن ابن أم مكتوم «كان يحمل راية سوداء في معركة القادسية فهل يا ترى أبصر بعد ذلك ومتى؟؟ ذكر ابن كثير («عن انس بن مالك قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم») .

كما أن الذين ذكروا ممن كان يعرض عليهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله الإسلام – حين حضور ابن أم مكتوم للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله – وهم عتبة ابن ربيعة أو أُبي بن خلف كلهم من أهالي مكة . فكل ذلك لا يكون إلا بمكة وابن أم مكتوم عاش بالمدينة ، وكان مؤذن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فيها .

الأدب مع رسول الله

جاء في الحديث عن عمر بن الخطاب «**بينما نحن جلوس عند رسول الله إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشَّعر ، لا يرى عليه غبار السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى رسول الله وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا رسول الله أخبرني عن الإسلام ، قال أن تشهد أن ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت . قال : صدقت . قال فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : أخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . قال صدقت . قال : أخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك . قال صدقت . قال : أخبرني عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال أخبرني عن إمارتها . قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة ، رعاة الشاة**

يتطاولون في البنيان . قال : صدقت . قال ثم انطلق . قال ردّوا عليّ الرجل قال فلم نجده ، قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1] .

الواضح من هذا الحديث أنّ المعلم كان هو النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، وجبريل كان هو السائل والمصدق لما يقوله المعلم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . وكل ما سأله جبريل كان يعلم الإجابة عليه ، وحينما يخبره النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بالإجابة يجيبه بالتصديق أي أن العلم الذي عند النبي هو أيضاً عند جبريل عليه السلام ، فلما سأله عن الساعة لم يُجبه بـ«لا علم لي» بل قال له ما عندي من علم فيها هو ما عندك من علم لا أكثر «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» وذلك رفض للإجابة على سؤال جبريل بأسلوب خفي على الجميع إلا جبريل عليه السلام . فهو كان يعلم الإجابة على كلّ ما سأل عنه ، وبالتالي كان يعلم الإجابة حينما سأل عن الساعة ، ولكنّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله رده عن السؤال عن طريق تأكيده بأنه يعلم ما يعلمه جبريل لا أكثر ، فيلجأ جبريل إلى تغيير السؤال بصورة تؤكد علم النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لما يعلمه هو ، ألا وهو السؤال عن إماراتها . والذي لا يعرف الشيء لا

---

(١) صحيح مسلم .

يعرف إماراته . فيجيبه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله على بيان إماراتها .

إذن كان النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في هذا الحديث هو المعلم والمحدث والشارح لتلك الأسئلة ، فما هو الذي جاء جبريل يعلمهم إيّاه ؟ فالنبي صلى الله وبارك عليه وآله كان معلماً حتى لجبريل عليه السلام ، وذلك حينما سأل جبريل سؤالاً ليس من الحكمة الإجابة عليه ؛ لأنه لا يفيد السامعين علمهم بالساعة . فرفض النبي صلى الله وبارك عليه وآله الإجابة على السؤال بأسلوب عَلمِه جبريل وفات على الحاضرين فغيّر جبريل صيغة السؤال . فتمت الفائدة للناس من علم النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لتبيانه لعلامات الساعة! صلى الله عليك يا من بُعثت مُعلماً للإنس والجن والملائكة!

الناظر إلى هذا الحديث يجد أن السؤال الأول كان عن الاسلام ولا يظن أحد أن الجالسين كانوا غير مسلمين أو لا يعرفون الإسلام وأركانه!! وهذا السؤال لم يشرحه جبريل بل طرحه على النبي . ألم يكن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قد علّمهم الإسلام وهم آنذاك جلوس مسلمون بين يديه؟؟ إذاً ماذا جاء يعلّمهم جبريل؟

إنّ النبي صلى الله وبارك عليه وآله صادق فيما قال «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» وذلك يحتم علينا النظر فيما

جاء يعلمهم إياه جبريل عليه السلام . وبالإمعان في الحديث نجد أن الأمر كله يتعلق بتعليمهم كيفية التعامل مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وأسلوب الأدب اللائق بحضرته الشريفة . فجبريل عليه السلام لم يترك من التأدب شيئاً في تلك الجلسة . . فقد جاء في هيئة استرعت انتباه الجالسين في نظافته البادية على سواد شعره وحُسن ثيابه ونظافتها المشار إليها بشدة بياضها ، وهكذا يجب أن يكون حال القادم على رسول الله صلى الله عليه ووالديه وآله في مظهره في الظاهر والباطن . فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وبدأ يسأل حتى لا يكون بعيداً ليحتاج إلى رفع صوته أمام النبي . . . فإنّ في رفع الصوت أمامه إحباط للأعمال . ثم يتأدب في طرح السؤال والاستماع إلى الإجابة عليه برغم أنه كان على علم بالإجابة . . وعلمه بالإجابة لا يزيده إلا تأدباً لا علواً واستكباراً . . فانظروا أيها الجالسون هذا هو الروح الأمين جبريل عليه السلام كيف يتعامل مع حبيب الله ورسوله فأين أنتم من جبريل عليه السلام؟ فلا تكونوا أقل أدباً . . تعلّموا الأدب منه فإنه جاء يعلّمكم دينكم . . ألا وهو الأدب مع رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . . وبيّن الله سبحانه ذلك في سورة الحجرات ، وهي سوره الأدب مع رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . . فإذا كان التمسك بالدين الغاية منه صلاح الأعمال في الآخرة ، والنجاح عند

الميزان يوم القيامة ، فإنّ المحافظة على الأعمال الصالحة هو أهم ما في الأعمال نفسها لأنها قد تكون صالحة ولا يقبلها من لا يُسأل عما يفعل لسبب فيها يعلمه هو ، أو لسبب خارج عنها . وإذا ذهبت الأعمال الصالحة ذهب الدين!! والذي يذهب بالأعمال الصالحة – أي بالدين الذي يرجوه المسلم لآخرته – هو إظهار شيء من سوء الأدب مع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لأنه يحبط الأعمال . . وهذا أمر كتبه الله على الذين آمنوا ليراعوا حسن الأدب والمخاطبة مع حبيبه . قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1] وهو أمر بالتسليم المطلق للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كما قال تعالى ﴿ . . . **وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[2] ثم يُبين الله سبحانه أموراً بعينها ويحدد ما يترتب عليها من حكمه فيها . يقول تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ . . .**﴾[3] فحرّم رفع الصوت عنده بل يذهب الحكم إلى أبعد من ذلك ، أي إلى نوعية المخاطبة نفسها ، فيجب أن لا تكون كما يخاطب الناس بعضهم بعضاً ﴿ . . . **وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ**

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ٢ .

بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ . . .﴾[1] لأنّ في ذلك ذهاب الدين كلّه **﴿ . . . أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾**[2] فمن حبط عمله لم يبق له من دينه شئ . يتضح من هذا أن الأدب مع رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو العامود الفقري للدين ، فإن فقده المرء فلا تسأل عن صلاته وصيامه وقيامه وطول لحيته وقصر ثوبه . إنّ الذين يؤذون رسول الله في أبويه – وهو خيار من خيار – ويؤذونه باتهامهم له بنقص العلم ، وعدم العصمة من الذنوب فيما دون الكبائر ، وتصحيح غيره له في أداء رسالته ، وفي جعلهم للشيطان عليه سبيلاً بينما يفر من طريق غيره ، قد فقدوا الأدب تماماً بل تعدوه إلى الإساءة . **﴿ . . . وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّـهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[3] ويُبين الله سبحانه وتعالى أبعاد فوائد حسن التأدب مع رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فيقول سبحانه وتعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّـهِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّـهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**[4] .

فالتأدب مع رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٢ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ٢ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٦١ .

(٤) سورة الحجرات ، الآية : ٣ .

بل المبالغة فيه هي مطلب الحق سبحانه وهي أساس الدين كله ، فلا دين لمن لا أدب له مع رسول الله ولا حظ له في الإسلام أبداً ويلقى الله وهو من الأعمال صفر اليدين . .لا تنفعه صلاته وارتياده للمساجد ، ولا ذكره لله وقيامه الليالي ، وليس له من كثرة صيامه سوى الجوع والعطش!! فمن يتكل على حسن عمله فقد هلك لأنه أصبح في الآمنين من مكر الله ﴿ . . . **فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[1] . وليس الآمنون من مكر الله هم أصحاب الخطايا لأنّ هؤلاء يرجون رحمة الله لانكسار نفوسهم ، والله يقول في الحديث القدسي «أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي» فأصحاب المعاصي يذكرون الرحيم ، وأهل الطاعات يذكرون النعيم!! فهم الآمنون من مكر الله إن هم جعلوا الأعمال اعتمادهم ورأس مالهم . فقد قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «**لا يدخل أحدكم الجنة بعمله**»[2] أما من جعل الأدب مع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله رأس ماله فقد ربحت تجارته ، أنظر إلى الأجر العظيم والمغفرة التي وهبها الله لمن يغضّون أصواتهم عند رسول الله ، وذلك لمراعاتهم حرمته ولزوم حسن الأدب معه . .! ويقرر الحق سبحانه وتعالى أن الأدب مع رسول الله ، والذي يأتي

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٩٩ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل .

خفضُ الصوت في مراتبه الأولى هو أساس الدين وسوء الأدب يمحق الأعمال ، بل ينفي الله سبحانه العقل عن أولئك الذين يرفعون أصواتهم لمناداة الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[1] وقد ذكر أن وفداً من قبيلة بني أسد جاء إلى رسول الله ليعلنوا إسلامهم ، فطفقوا ينادون النبي رافعين أصواتهم بالمناداة عليه من منزله . وهنا يبين الله سبحانه وتعالى شدة وجوب الأدب مع الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، وأنه لا مجاملة ولا تسامح في هذا الأمر ، حتى ولو كان الأمر يتعلق بدخول أُناس في الإسلام . فاحترام النبي صلى الله وبارك عليه وآله فوق ذلك كله . وليس إسلامهم في الأهمية كلزوم الأدب مع الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قال تعالى ﴿ . . . **قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2] فبين الله سبحانه لهم أنهم لو صبروا على كفرهم ذلك حتى يخرج إليهم مع لزوم الأدب بعدم رفع الصوت لكان خيراً لهم . قال تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[3] .

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٤ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١٧ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ٥ .

أسئلة تحتاج إلى إجابات ..!

هل الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله معصوم لقول الله تعالى ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[1] وقوله تعالى ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[2] . . ولقوله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «**والله إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً**»[3] . . وقوله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «أكتب والذي نفسي بيده لا يخرج من هذا إلا حقاً» وأشار إلى فمه الشريف . .؟

- هل الخلفاء بعد النبي صلى الله وبارك عليه وآله معصومون؟

- إذا كانت السُنّة هي ما فعله النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، أو قاله ، أو أقرّه ، فإذا جاء أحد بأمر في الدين مخالفاً لما فعله النبي أو قاله أو أقره فهل يجوز إعتبار فعله هذا سُنّة أيضاً . .؟

---

(١) سورة النجم ، الآية : ٣ .

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٣) مجمع الزوائد .

– إذا شـرّع النبي صلى الله وبارك عليـه ووالديه وآله حـدّ شـارب الخمـر أربعين جلدة ، فـهل يحقّ لأحـد إجـراء زيادة أو نقص بحد الله ؟

– هل الذي يعـارض النص القرآني والنص النبوي يعـتبـر مسلماً ملتزما ً، أم يعتـبـر مسلماً مخالفاً ، أم يمكن أن يكون محقاً؟

– هل الذي يعتـرض على أمـر النبي في حضـرته يخـرج بذلك عن الإسلام أم يعتبر مسلماً عاصياً ، أم يمكن أن يكون محقاً؟

– هل يوجد من هو أعلم من النبي في أمته بعد قوله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «بُعثت معلماً»[1]؟

– هل يجوز لأحـد أن يصلي بخلاف ما كان يصلي رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في السفر أو الحضر؟

– هل صلاة التراويح التي أمر عمر بن الخطاب الناس بها تعتبر سُنَّة ، أم أنها بدعة كما قال عمر نفسه «نعم البدعة هذه»؟ كما جاء في صحيح البخاري .

– هل أوصى النبي صلى الله وبارك عليـــه ووالديه وآله الأمة بالتمسك بعترته أهل بيته كما جاء في صحيح البخاري «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما بعدي لن تضلوا كتاب الله

---

(١) سنن ابن ماجة .

وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»؟

– هل ضمن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله للأمة النجاة من الضلال إذا هي تمسكت بعترته أهل بيته على ضوء الحديث المذكور أعلاه؟

– هل علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[1] هم أهل البيت؟

– هل (أبناؤنا) و(نساؤنا) و(أنفسنا) تعني الحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام في قوله تعالى ﴿ . . . **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[2] كما فسّرها رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟

---

(١) لفظة ((عليه السلام)) بعد ذكر سيدنا علي أو سيدنا الحسن أو سيدنا الحسين ولفظةُ ((عليها السلام)) بعد ذكر السيدة فاطمة من خصوصياتهم وخصوصيات آل البيت أي من المستحبات في حقهم ، فلا تهاب من أن يتهموك بالتشيّع إذا قلتها ، فقد استعمل هذه اللفظة في حقهم رضي الله عنهم أعلام أهل السنة وأئمة الحديث كالبخاري في صحيحه (٧/٧١ و٧٧ و١٠٥ وغير ذلك) والإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/٥٦٣ و٦٥٢ و٦٦٢ وغير ذلك) والحافظ ابن حجر في حق سيدنا علي (انظر مقدمة الفتح ص (٤٣٢) وفي حق السيدة فاطمة (٦/٥٥٢ الفتح) والدار قطني في سننه (٣/٦٥ و٦٦) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

– إذا كانت العترة الطاهرة (أهل البيت) وكتاب الله لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، ألا يعني ذلك أن من فارق العترة الطاهرة فارق كتاب الله؟ وبالتالي من عاداها فقد عادى كتاب الله؟

– هل كانت بيعة أبي بكر «فلتة وقى الله شرها»[1] كما جاء عن عمر بن الخطاب في صحيح البخاري؟

– هل خلافة عمر بن الخطاب بُنيت على تلك الفلتة؟ إذ أن أبا بكر عيّنه دون استشارة أحد من الصحابة؟

– هل خلافة عثمان كذلك بنيت على تلك الفلتة لأنّها قامت على ستة أشخاص عيّنهم عمر ليُختار الخليفة من بينهم؟

– هل تمت البيعة لعثمان بواسطة عبد الرحمن بن عوف الذي قال عنه عمر بن الخطاب؟ إنه فرعون هذه الأمة؟

– هل يجوز أن يبشّر من آذى رسول الله بالجنة رغم قول الله تعالى ﴿ . . . **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2]؟

– هل يمكن أن ينسب خطأ للنبي صلى الله وبارك عليه

---

(١) البخاري .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٦١ .

ووالديه وآله في قوله لعمر بن الخطاب «إنك امرؤ فيك جاهلية»[1] رغم قول الله تعالى ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[2] وقول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً»؟

(١) البخاري .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣ .

لماذا الاختلاف في السنة ..؟

جاء في الحديث الشريف «الصلاة عماد الدين»[1] ، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ، فإن صلحت صلحت سائر أعماله ، وإن بطلت بطلت سائر أعماله . . إذاً فلا شيئ أهم منها عند العبد المسلم الذي يرجو النجاة في اليوم الآخر ، والاهتمام بها يجب أن لا يعدله شيىء . . . والدخول فيها يجب أن تسبقه طهارة معينة محددة لا تصلح الصلاة إلا بها ألا وهي الوضوء . لقد ظل النبي صلى الله وبارك عليه وآله يتوضأ أمام أصحابه في كل يوم خمس مرات لأكثر من عشرين سنة وهم يراقبونه يفعل ذلك ، فهل يوجد لهم عذر إذا اختلفوا في كيفية وضوئه . . .؟ وإذا لم يكن هناك اتفاق وتطابق في وصف كيفية وضوئه من أصحابه فماذا يعني ذلك؟؟؟ هل هو عدم اهتمام بما كان يفعل صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ أم هو قصد عدم إيصال الحقيقة ونقلها كما هي؟ أم هناك سنة دون سنته في الوضوء وُضعت ليتبعها الناس ليكون لواضعها تشريعاً

---

(١) نوادر الأصول .

مساوٍ لتشريع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يؤيِّده عليه الله . . .؟!! فقد وصل إلينا اختلاف كبير في كيفية وضوئه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، فقيل إنه كان يمسح على القدم إلى الكعبين ، وقيل إنّه كان يغسل كل القدم ، ومنهم من قال إلى نصف الساق . .! ولم يُنقل عن أحدهم أنه قال إن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فعل مرة كذا ومرة كذا ، بل كل واحد منهم يصرّ على ما هو عليه . فالذي يقول بالمسح لا يقول بالغسل أبداً وينكره . والذي يقول بالغسل لا يقر بالمسح أبداً وينكره ويُبطل صلاة من يقول به . وقد يَعزي بعضهم الاختلاف إلى الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ . . .**﴾[1] فقالوا إذا قُرِأت ﴿ . . . **وأرجُلِكم** . . .﴾ تكون معطوفة على ﴿ . . . **بِرُءُوسكم** . . .﴾ فيكون المسح هو الأصح وإذا قُرِئَت ﴿ . . . **وَأَرْجُلَكُمْ** . . .﴾ تكون معطوفة على ﴿ . . . **وُجُوهَكُمْ** . . .﴾ فيكون الغسل هو الأصح . . والعجب كل العجب في هذا الاحتجاج بهذا الشرح كأنه لم يكن هناك رسول قام بتوضيح ذلك وفعله أمامهم!! وكأنّ القرآن نزل إليهم ليقوموا هم بشرحه دون الرجوع إلى ما كان يفعل صلى الله وبارك عليه ووالديه

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦ .

وآله! وكـأنهم هم الموكلون بشـرحـه دون النبي صلى الله وبارك عليه وآله! ولا اهتمام لهم بكيفية فعله في شرحه وتطبيقه رغم قول الله تعالى ﴿ . . . **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** . . . ﴾[1] . . . !

كما أن القراءة نفسها موضع خلاف ، فهل قرأ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كلمة «وجوهكم» مرة بالفتح ومرة بالكسر؟ فإنه من الكبائر أن تُجهل قراءة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!!! فكيف يدخل الواحد منا اليوم في صلاته وهو مطمئن إلى صحة وضوئه ليؤدي أهم ما فرضه رسول الله صلى الله وبارك عليـه ووالـديه وآله؟ وإلى أيٍّ من هذه المذاهب ينتمي؟ وأين الحق في كيفية وضوئه؟ فإنّ هذه المذاهب يُسَفِّه بعضُها بعضاً ويُكَفِّر بعضها بعضا!! فقد ذُكر في كتاب السنة لعبد الله بن احمد بن حنبل أن أبا حنيفة كان زنديقاً ومات جهمياً . وأنه أبو جيفة ؛ وأبو الخطايا ؛ وسيكبه الله في النار . وأنه استتيب من الكفر مرتين . . .!!

ثم ننتقل إلى كيفية الصلاة نفسها . . . لقد ظل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يؤم الناس نيفاً وعشرين سنة في كل يوم خمس مرات منها عشر سنوات بالمدينة ، وكلّ أهل المدينة يصلون خلفه . فكيف يختلف اثنان من كلّ الصحابة

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٤٤ .

الذين كانوا يصلون معه اختلافاً لا تقبل صورته بِكُلِّ السبل؟!!!

فهل كان يفتتح الصلاة الجهرية بالبسملة؟ أم بالحمد لله رب العالمين دون ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ وهل كان المصلون خلفه لا يسمعون صوته حتى يُعذروا إذا اختلفوا في ذلك؟؟ وهل ذكروا هذا السبب في خلافهم؟ وهو سبب لا يؤخذ به وإن ذكروه – رغم أنهم لم يذكروه – لأنّه كان صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يَسمع صوته من كان يرعى غنمه خارج المدينة إذا قال اجلسوا فيجلس!! وهل «بسم الله الرحمن الرحيم» تعد آية في سورة الفاتحة؟

وإذا كانت الإجابة بنعم فما حُكم من يقول بكراهة الجهر بها؟ ألا يدخل في قوله تعالى ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾[1]؟ وهل منهم الحنابلة والمالكية؟ ثم هل سورة الفاتحة فرض في كل ركعة؟ فالحديث «**كل صلاة لا يُقرأ فيها بأم القرآن فهي خُداج**»[2] قد لا يعني قراءتها في كل ركعة . فقد ورد أنها تُقرأ في الركعتين الأولى والثانية فقط والتسبيح في بقية الركعات!! كما ورد أن الصلاة تصح بالتسبيح فقط لمن لا يحفظ شيئاً من القرآن الكريم . . ثم هل كان النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يقرأ الفاتحة في

---

(١) سورة محمد ، الآية : ٩ .

(٢) مسند أحمد .

كلّ ركعة أم هناك ركعات لا يقرأ فيها . .؟ فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن هناك ركعات لا يقرأ فيها بأُم القرآن . .!! ثم هل كان يقرأ القنوت في صلاة الفجر؟ فإنّ هناك من لا يرى ذلك في مذهبه! ومنهم من ذهب إلى بطلان الصلاة إذا قَنَتَ الإمام!! ثم إذا كان هناك قنوت هل هو بعد السورة في الركعة الثانية من صلاة الفجر أم بعد الركوع من الركعة الثانية؟ فمن المذاهب من يراه بعد السورة ومنهم من يراه بعد الركوع . . فهل كان كل المصلين خلف النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله من صحابته لا يدرون متى كان يقنت . .؟ فإن كانوا لا يسمعون صوته – وهذا غير وارد– فإنّ الركوع حركةٌ لا تدع شكاً لأحد ليقول إنه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كان يقنت قبل الركوع إذا كان يقنت بعده . .!! أم أن القنوت بعد الركوع كان من فعل عمر بن الخطاب .؟ ثم القنوت نفسه هل كان سراً أم جهراً . .؟ فهل كانوا لا يدرون أنه كان يقنت سراً أم جهراً وهم يصلون معه نيفاً وعشرين سنة؟؟ وهل كان القنوت في سُنِّة الوتر وليس في صلاة الصبح؟؟ وهل هناك صيغة واحدة للقنوت أم أنه دعاء حسب رغبة الإمام؟ ثم هيأته في الصلاة : هل كان يقبض يديه فوق السرة أم تحتها أم لم يكن يقبضهما أصلاً . .؟؟ و ما هي صيغة التشهد الذي كان يقوله النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . .؟ فإنّ كثرة الاختلاف فيه لا تترك يقيناً على

صحة إحداها! فهل كان كلّ صحابي يسمع قولاً مختلفاً وصيغة مغايرة في أوقات مختلفة؟ وهل عزا المختلفون أسباب خلافهم إلى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بأنه كان يقول بصيغ مختلفة؟؟ وكيفية الخروج من الصلاة هل بتسليمة واحدة أم بتسليمتين؟ فقد تعصب كل صاحب مذهب إلى ما عنده ، فمن قال بتسليمة واحدة نفى التسليمتين ، وقال إنّ التسليمة الواحدة قد خرج المصلي بها عن الصلاة . والذي يقول بالتسليمتين يصرُّ على صحة ما هو عليه ، ويُخطِّئ صاحب التسليمة الواحدة ويراه قد انتقص من الصلاة . ومنهم من قال إن الجلوس الأخير يكفيه وإن أحدث قبل التسليم ؛ وصلاته صحيحة كما روي عن أبي حنيفة . ومنهم من جعل السلام المعرَّف بالألف واللام فرضاً إذا لم يؤت به بطلت الصلاة كما جاء في مذهب مالك . ومنهم من يُبطل الصلاة إذا لم يصلِّ المصلي في تشهده على النبي وآله ، وجعلها فرضاً لا تصح الصلاة بدونها كما قال الشافعي رحمه الله .

معارضة النبي العظيم

قسم المسلمون العمل إلى فرض وسنة ، وقالوا من جاء بالفروض من العمل قُبِلَ عمله ، وإن ترك السنة فيه . .! وأين لهم العلم بقبول الله للعمل وهل يجب على الله قبول العمل إذا كان صحيحاً . .؟ ولا أدري من أين جاءوا بهذا التقسيم ليسقطوا جزءاً من العمل قام بفعله النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . .! قد يقول قائل ما ذكر في القرآن فهو فرض وما فعله النبي فهو سنة . .! ويقال لهذا إنّ الصلاة ذكر منها في القرآن الركوع والسجود فهل الرفع من الركوع سنّة تصح الصلاة بدونه . .؟ وما هو حكم من ترك سنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله عمداً . .؟ هل بقي له من الإسلام شيء . .؟ فالحقّ جلّ وعلا فوّض النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في أمر الدين كله تفويضاً كاملاً ، وأحال الأمّة إليه حيث يقول ﴿ . . . **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[1] فكيف بعد هذا

(١) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

يمكنهم القول بأنّ هناك جزءاً من عمل النبي يمكن إسقاطه بعد تصنيفه بأنه سنة ويمكن أن يستقيم الفرض بدونه . .؟ والله سبحانه يقول ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ . . .**﴾[1] والسؤال هو كيف يُصلِّي المَرء الآن وهو مطمئن بأنّ صلاته هي كما كان يصلي النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . .؟ وهل مَن عَلِمَ كيفية أداء النبي للصلاة وترك شيئاً منها عمدا ، أو صار يُشرِّع بإمكانية ترك شيء منها والإتيان ببعضها يُعدَ مُسلماً . .؟ أيكون قد جُعل هذا التقسيم للتقليل من قيمة السنة التي فعلها النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حتى تقل حرمة أفعاله عند المسلمين كي يتجاسروا ويسيئوا الأدب معه ويُخَطِّئوه – رغم عصمته – ويأخذوا برأي من خالفه في بعض المواقف ، ويزعموا أن الله أيَّد ذلك المخالف له؟ بمعنى أنّ مخالفة النبي ممكنة إذا كانت في سنته؟!!! أي أنّ الله نسخ قوله تعالى ﴿ **. . . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ وقوله ﴿ **. . . فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2] بل ليذهبوا أبعد من ذلك ليقولوا إن الله عاتب نبيه على عدم الأخذ برأي من خالفه!!! وحاشا لله أن

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

يأمر الناس بالأخذ عن النبي ثم يعاتب النبي صلى الله وبارك عليـــه ووالديه وآله لِمَ لْم يأخـــذ هو عن أحـــد الناس من أصحابه . .!! وهل لا نزال نحن نعترض ونُخَطِّئ رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في صلاته على عبد الله بن سلول ثم ندَّعي أننا مسلمون رغم هذا الإعتراض وتخطئة الرسول . .؟ وماذا لو صلى أحد المسلمين على ابن سلول صلاة الغائب اتباعاً لسنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ هل يكون خرج بذلك عن الإسلام في اتّباعه فعل رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله رغم قول الله تعالى ﴿ . . . **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ** . . .﴾؟!! وهل ندم النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله على صلاته على ابن سلول أو قال فيها شيئاً يدل على خطئه في فعلها ، أو أن معارضة عمر بن الخطاب كانت صحيحة ومُصيبة؟

من جهة أخرى نجد في أداء الصلاة أنّ عدد التسبيحات في الركعة الواحدة سبع من تكبير وتحميد . ونجدها في الركعتين ثلاث عشرة .! فهل يا ترى في كل ركعة ست تسبيحات غير تكبيرة الإحرام؟ إذا كان الأمر كذلك يكون عدد التسبيحات في الركعتين صحيحاً ولكنه لا يصح في صلاة المغرب . .! إذ المفترض أن يكون العدد تسع عشرة تسبيحة ، وذلك إذا قلنا إنه لكل ركعة ست تسبيحات زائداً تكبيرة الإحرام ولكنها في الواقع عشرون!! فلا هي ست تسبيحات

لكل ركعة ولا سبع تسبيحات لكل ركعة!! ويزداد الأمر وضوحاً في الصلاة الرباعية : فإذا قلنا لكل ركعة ست تسبيحات زائداً تكبيرة الإحرام يكون العدد خمساً وعشرين . ولكنه في الواقع ست وعشرون!! فإذا قلنا إنه لكل ركعة سبع تسبيحات وهذا عدد حركات الركعة – ويبدو أنه الأرجح – فينبغي أن يكون للمغرب إحدى وعشرون تسبيحة ، وللرباعية ثمان وعشرون!! ولهذا نجد اضطراباً كثيراً في أداء صلاة التسابيح! وهل تكبيرات صلاة الجنازة كانت أربع تكبيرات في عهد رسول الله ، أم أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كبّر على الجنازة عشراً وسبعاً وخمساً وقصرها أحد الخلفاء على أربع تكبيرات؟

السُنّة في رمضان

يأتي سؤال هام ألا وهو كيف كان الأمر في رمضان . .؟ هل كان كل المسلمين في المدينة يحضرون الإفطار مع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في المسجد ثم يصلون معه المغرب في جماعة؟ أم كان كل واحد منهم يفطر في داره ويصلي المغرب فيها ، وهنا تنتفي إقامة صلاة الجماعة في رمضان في صلاة المغرب!! أم كانوا يصلون جماعات في بيوتٍ مختلفة دون النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ أم كانواً يفطرون في بيوتهم ثم يحضرون إلى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في المسجد ليصلوا معه المغرب؟ وفي هذه الحالة هل كانت تؤخر لهم الصلاة حتى حضورهم من منازلهم بعد الإفطار حيث يكون دخل وقت العشاء فيصلون المغرب والعشاء جمعاً . .؟ فقد جاء في البخاري «أن النبي جمع في غير سفر ولا مطر ولا خوف» وبما أنه في غير سفر فذلك يعني أنه بالمدينة . فمتى فعل ذلك؟ في رمضان أم في غيره؟ وهل فعل ذلك وحده أم في جماعة؟ والأقرب أنه صلاها في جماعة لوجود راوي الحديث ومن معه ، ولأنّه صلى الله وبارك عليه

ووالديه وآله لا يتركه أصحابه لوحده لتعلّقِهم به ، وإذا كانت الصلاة تقام في جماعة فهل كان ذلك في المسجد؟ إذ أن الصلاة في المسجد أولى من غيره . و يمكن القول بأنه كانت هناك صلاة في مسجد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله جمع فيها النبي وقتين معاً ولم يبين الحديث هل كان الجمع بين الظهر والعصر أم المغرب والعشاء . .!! ثم السؤال مَن بالتحديد كان يفطر مع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ويصلي معه في هذا الشهر العظيم؟

أليس هو أمر يستحق التدوين حيث انه يتعلق بالصلاة والصوم وهما أفضل عبادة لمن أسلم ونطق بالشهادة . .؟

«السقيفة» أم النبي ...؟

هنالك أمر لا يجب أن يُفرض على العقول قبوله لأنه لم يصدر عن المعصوم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وهو محل للتساؤل ألا وهو : هل الاهتمام بتنصيب أمير على المسلمين ، أو حاكم أفضل من الاهتمام بالنبي نفسه وهو لا يزال على ظهر الأرض؟ أم أن المصارعة والتنافس والمسابقة حول الرئاسة شغلت الصحابة عن أفضل خلق الله قبل أن يواروه ، فلقد سبق أن انشغل بعضهم عنه باللهو والتجارة وتركوه قائماً يصلي!! **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا . . .﴾**[1] وإذا كانت هذه القاعدة التي وضعوها من عند أنفسهم وتعبدوا بها واعتقدوا صحتها سليمة ، فهل يعني ذلك أن ترك النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بعد ارتحاله مُسَجّى لمدة ثلاثة أيام لا يلتفت إليه أحد إلا أهل بيته هو الصواب؟ لأنّ هناك ما هو أهم منه عندهم وهو تنصيب الخليفة . .!! وهل ما قام به علي عليه السلام وآل بيته الكرام

---

(١) سورة الجمعة ، الآية : ١١ .

من تعـهُّدهم للراحل المُفَـدّى وتجـهيـزه عـملٌ جـانبـه الصـواب عندهم ويدل على جـهلهم؟ وهل كـان الأولى بالصـحابة كلهم إن كـانوا علماء بدينهم كـما عَلَّمَـهُم رسول الله صلى الله وبارك عليـه ووالديه وآله أن يلتزمـوا بهذه القـاعـدة الفقـهيـة العجيـبـة ويترك النبي العظيم على ظهـر الأرض مُسَجّىً لا يعبـأ به أحد لمدة ثلاثة أيام حـتى يتم تنصـيب الخليـفـة لأنه الأهم عندهم كـما تقول القاعدة : «تنصيب الخليفة أولى بالاهتمام من تجهيز الموتى»!؟ فقد كان أبو بكر غائباً لم يحضر وفاة النبي صلى الله وبارك عليـه ووالـديه وآله حـيث كـان يسكن هو وعـمـر خـارج المدينة في السُّنح[1] ، كـما وصلنا من المصادر التاريخية للسيرة وكـانا يتبادلان الدخول للمدينة كل يوم وكان على الذي عليه الذهاب منهـما للمدينة أن يُزوِّد الذي يبقى بالأخبار . وفي يوم ارتحال النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كان أبو بكر في داره في السنح خارج المدينة . وبعد حضوره نُسبت إليه خطبته الشـهيـرة – إن صـحت نسـبتـها– والتي خلت عن توقيـر النبي صلى الله وبارك عليـــه وآله المفـــروض بنص القـرآن ﴿ . . . **وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** . . .﴾[2] وأبعد بها القلوب عن النبي بالخوف من الوقوع في عـبادته «من كـان يعبـد محمـداً فإن محمـداً قد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ٩ .

مات»[1] وبعد ذلك توجه إلى السقيفة ومعه عمر ليتدارك أمر الحكم حتى لا يقع في أيدي الأنصار ؛ أو يتقاسموه معهم «منا أمير ومنكم أمير» وتُرك الحبيب على ظهر الأرض مسجّى . وانشغلوا بما قالوا إنه أهم منه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . ولم يصليا عليه حتى أن عمر لانشغاله بأمر الحكم كان وهو في طريقه إلى اجتماع السقيفة قد زوّر كلاماً كان يريد أن يقوله إلا أن أبا بكر قال له «على رسلك» قال «**فجاء بكل ما زورته أو أحسن منه**»[2] . مما يدل على أن اهتمامهم بأمر الحكم كان أكبر من النبي المسجّى صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وعلى ذلك جاءت الفتوى .

---

(١) سنن البهيقي .

(٢) البخاري .

بيعة أبي بكر

عرض أبو بكر البيعة لكل من عمر بن الخطاب وأبي عبيدة وقال لعمر بن الخطاب «مد يدك لأبايعك» فهل يا ترى لو بويع لأبي عبيدة أو عمر بن الخطاب أين يكون مكان هذه الحجج التي سيقت إلينا لخلافة أبي بكر؟ وقد كان مُمكناً أن تتم البيعة لأحدهما فقد قال عمر بن الخطاب «إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة . . .»[1] أم يا ترى قيلت خطبة للمجتمعين في السقيفة عن أبي بكر وبلائه في الإسلام وأقرها المجتمعون ثم قبلوه خليفة بالإجماع . .؟ وإن كان كذلك فأين هذه الخطبة ومن قائلها . .؟ وإن لم تكن هناك حجة لإقناع المجتمعين بالسقيفة بخلافة أبي بكر ، وهذا هو الأرجح لقول عمر بن الخطاب إنها كانت فلتة وقى الله شرها ، فهل يجوز أن تكون الخلافة بهذه الصورة التي نقلت إلينا وأنه متى ما بويع لأحد بالخلافة ولو عن طريق الفلتة يكون الأمر له ولا تصح منازعته ، ويصبح الخروج عليه كُفر ورِدَّة ؟!!! وإذا كانت بيعة ابي بكر

---

(١) صحيح البخاري .

فلتة كما أكد ذلك عمر فكيف تساق حجج على أنه كان الخليفة المرتقب؟ وكيف تساق حجج على وجوب حصولها بينما الصحابة وأهمهم عمر كانوا يعلمون أنها كانت فلتة؟ وتمت بيعة أبي بكر بأربعة أشخاص وخامسهم مولى أبي حذيفة في السقيفة!

يسوق بعضهم الحديث «مُروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس»[1] على صحّة خلافة أبي بكر وجاءوا بحديثٍ مُعَضِّدٍ لذلك عن علي عليه السلام وهو «كيف لا نرضى لدنيانا من رضيَهُ لنا رسول الله لديننا» ، وهذا الحديث ، إن كان صحيحاً ، يوضح أن أمر الخلافة أمرٌ دنيويٌ وليس دينياً . بينما الواقع التاريخي ينكر هذا الحديث المنسوب لعلي عليه السلام حيث ذُكر أنهم حاولوا إجباره ليبايع ، وأراد عمر بن الخطاب أن يحرق عليه الدار ، فقيل لعُمر «إن فيها بنت رسول الله» فقال «وإن» فقالت الزهراء عليها السلام «ما أسرع ما غِرتم على أهل بيت رسول الله . .!» . ولكن علياً رفض أن يبايع فتركه أبو بكر ولم يبايع إلا بعد انتقال السيدة الزهراء عليها السلام بعد ستّة اشهر ، حيث ما كان له ليبايع أبا بكر والزهراء عليها السلام موجودة على قيد الحياة ومعلنة غضبها عليه وعلى عمر بن الخطاب وقالت لهما إنها ستدعو عليهما عقب كل صلاة بسبب أنهم رفضوا أن

---

(١) صحيح البخاري .

يورثوها من أبيها بينما ورَّثوا عائشة الحجرة الشريفة . فقد جاء عن أبي بكر عندما أدركته الوفاة أنه «**ندم على أنه فتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أُغلق على حرب ، وأنه لم يسأل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لمن يكون هذا الأمر من بعده**»[1] . وهنا سؤال يطرح نفسه وهو : ألم يكن أبو بكر موجوداً في حجة الوداع يوم جمع النبي صلى الله وبارك عليه وآله الناس عند غدير خم وخطب فيهم قائلاً : «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[2] ؟؟ . وهذا يدل أيضاً على أن أبا بكر كان يعلم أنه لم يكن مختاراً من قبل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ليكون مولى من كان النبي مولاه!! .

---

(١) تاريخ اليعقوبي .

(٢) الترمذي .

ماذا يعني رفض المبايعة؟

هل كان علي عليه السلام في تلك الفترة التي لم يبايع فيها أبا بكر ، وهي فترة الستة أشهر ، هل كان يُصلي خلف أبي بكر ويقتدي به . .؟ وهل كان سعد بن عبادة الذي رفض أن يبايع أبا بكر أيضاً ، هل كان يصلّي خلف أبي بكر؟ لأن رفض البيعة هو رفض الإمامة . .!! وهل يشك أحد في دينهما فإن سعد بن عبادة لم يُصَلِّ خلف أبي بكر ولا عمر حتى أُغتيل في عهد عمر ونُسب قتله إلى الجن ، وقد شُهِدَ له بالصَلاح ولم يُكَفِّره أحد من الأمةّ . .!!!

وهل حديث «مُروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس» يُسعفهم في تسبيب صحة الخلافة لأبي بكر؟ لأنّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لم يترك أبا بكر ليكمل الصلاة بالناس بل جاء يجُرُّ رجليه متكئاً على العباس وعلي رضي الله عنهما . فَسَبَّح الناس لأبي بكر وصفَّقوا حتى تنحَّى عن الإمامة وصلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله بالناس . وكون النبي جاء وصلى بالناس هذا يعني نقض التوكيل – إن كان هناك توكيلٌ أصلاً– والرجوع عنه ومنع أبا بكر عن إتمام الصلاة!! كما أن

النبي صلى الله وبارك عليه وآله لم يكمل الصلاة من حيث انتهى أبو بكر بل صلى صلاة كاملة من بدايتها ، وهذا يعني إلغاء ما صلاّه أبو بكر بالناس . .! فالاحتجاج بهذا الحديث للخلافة لا أرى أنه يسعف المحتجين به ولا تقوم به حجة ، بل قد يكون دليلاً لحجة معاكسة تماماً . .!! ثم إن هذا الاحتجاج لم يُقال لأصحاب السقيفة لإقناعهم ليقبلوه أو يرفضوه ولا معنى للاحتجاج به في غير ذلك الموقف ، وقد سبق أن عيَّن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أبا بكر أميراً على الحج ومعه سورة براءة ، فأرسل إليه عليّاً ونزع عنه الإمارة وسلّمها لعلي ، وقال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «**أمرت ألا يُبَلِّغ عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي**»[1] وذلك لفضل علي عليه السلام .

ويبرز سؤال وهو هل كان اجتماع الأنصار في السقيفة أمراً دينياً أم سياسيا من أجل الحكم؟ فإن لم يكن دينياً فهل صار دينياً بعد مجيء أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة إليهم؟ فقد كان الكلام عن «**منا أمير ومنكم أمير**»[2] وقال أبو بكر منا الأمراء ومنكم الوزراء . وهذا أمر يتعلق بالحكم والذي يحكم . فإن لم يكن اجتماع السقيفة هذا ديناً فهل نتيجته صارت ديناً

---

(١) مشكل الآثار للطحاوي .

(٢) صحيح البخاري .

مَن يعارضها يخرج عن الإسلام . .؟ فإن النتيجة كانت تنصيب أبي بكر ، ! ثم إذا قيل إن نتيجته صارت ديناً فهل يمكن أن يكون الدين مبنياً على فلتة؟ فقول عمر بن الخطاب صريح وواضح وكان أحرص الناس على خلافة أبي بكر ، ورغم ذلك شهد بأنها كانت فلتة وقى الله شرها!! وخلافة عمر بن الخطاب جاءت نتيجة لهذه الفلتة فقد عينه أبو بكر خليفة على المسلمين دون استشارة أحد من الصحابة . .!! ولو رفض أحدٌ مبايعة عمر بن الخطاب ، فهو كمن رفض مبايعة أبي بكر لأنّ خلافة عمر مبنيّة عليها وهو الذي شهد بأنها فلتة وقى الله شرّها . فهل الذي يرفض مبايعة عمر يكون حُكمه كَحُكم علي عليه السلام وسعد بن عبادة رضي الله عنهما- أي لا غبار عليه؟

يأتي سؤال عن أول أمر فعله الخليفة الأول بعد تنصيبه في سقيفة بني ساعدة حينما كان الإمام علي عليه السلام مع أهل البيت مهتماً بتجهيز النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . هل اتجه أبو بكر إلى المرقد الشريف هو وعمر بن الخطاب ومن معهم في موكب المؤيدين إلى الحجرة الشريفة وصلّوا على النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وأشرفوا على تجهيزه . .؟ وهو أمر جدير بالتدوين لأهميته ، لتوضيح تصرف الخليفة الأول ، وولائه نحو الراحل العظيم ووفائه ، وأداء واجب التوقير والاحترام لنبيه ، المفروض بنص القرآن ؛ لقوله تعالى ﴿ . . .

وَتُعَـزِّرُوهُ وَتُـوَقِّـرُوهُ . . .﴾[1] . وهذا التـوقـيـر الواجب فـرض لا ينتهي برحيله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!!!

وإذا أُهمل تدوين هذه الأمـور الدينيـة الهـامـة هل اتجـه الاهتـمـام وانصبّ نحو شـؤون إنشـاء الدولة وإقـامـتـهـا وتركـيـز دعـاماتها دون الالـتفـات إلى سنّة النبي صلى الله وبارك عليـه ووالديه وآله . .؟ وهل كـان فـعـل أبي بكر في جـمع أحـاديث النبي صلى الله وبارك عليـه وآله وحـرقـهـا من هذا القـبـيل . .؟ فـقـد نُقل عن الـذهبي فـي تذكـرة الحُـفـاظ «أن أبا بكر جـمع أحاديث النبي صلى الله وبارك عليه وآله في كتاب فبلغ عددها خمسمائة حديث ثم دعا بنار فأحرقها» ورُوي عن عائشة رضي الله عنهـا أنهـا قـالت : «**جـمع أبي الحـديث عن رسـول الله فكانت خمسمائة حديث فبات ليلة فلما أصبح قال أي بنية هلمّي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعى بنارٍ فحرقها . فقلت لم حرقتها؟ قال خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجلٍ قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما كـان حـدثني فـأكـون قـد نقلت ذلك**»[2] . أم انه خـشي أن يختلط القرآن بالحديث كما قالوا . .؟ رغم أنّ هذا غير وارد لأن الظن في أبي بكر انه لا يجهل قول الله تعالى ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا**

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٩ .

(٢) كنز العمال : ١٠ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

الذِّكْـرَ وَإِنَّا لَـهُ لَـافِظُونَ﴾[1]!! أم أن حـرق الأحـاديث هذا يتناسب مع أسلوب الخطبة التي نُسبت إليه الخالية من التوقير «**من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات**»[2]؟ وهل كان توجيه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للصحابة الموفدين للبحرين وغيرها من الأقطار من هذا القبيل كما رواه الطبري «**جردوا القرآن وأقلو الرواية عن محمد وأنا شريككم**» . .؟ وهل يؤيد ذلك ما قاله عمر بن الخطاب لابن عباس إنّ الناس كرهوا أن يُجمع لكم بين الخلافة والنبوة . .؟ وهل يتناغم ذلك كله مع خطبة الخليفة الأول «من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات»[3] وفي رواية «من كان إلهه محمد فإن محمداً قد مات»؟ (يلاحظ التجريد لاسم الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله عند أبي بكر وعمر بن الخطاب في هذه الأحاديث المنسوبة إليهم وهو أمر محرم بنص القرآن ﴿**لاَّ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا . . .**﴾[4] فيجب توقيره كما أمر الله في محكم تنزيله ﴿ . . . **وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ . . .**﴾ وهل يشتم من هذا الكلام محاولة إبعاد الناس عن اتّباع سنة

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

(٢) البخاري .

(٣) سنن البهيقي .

(٤) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الذي مات كما قال أبو بكر ثم استقبال عهد جديد؟ إذ أن العبادة هي اتّباع التشريع كما جاء في شرح النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله للآية ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** . . .﴾[1] حيث قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «**كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرّموه**»[2] فإذا كانت العبادة هي الاّتباع في التشريع ؛ فهل معنى كلام أبي بكر «من كان يعبد محمداً» هو «من كان يتَّبع محمداً»؟؟ إذ لا معنى للعبادة غير اتّباع سنته كما ورد في تفسير العبادة . ولا أظن أن يكون قصد أبي بكر هو منع الصحابة من أن يجلس الواحد منهم ويذكر «محمد محمد محمد . . .!!» ولا يمكن أن يكون في كلّ الصحابة الذين خاطبهم أبو بكر من كان يفعل ذلك!! ولا كان فيهم من يصلي ركعات للنبي أو يستغفر النبي أو يقول لا إله إلا محمد . .!! فأين رائحة الشرك هذه التي سارع أبو بكر لتصحيحها عند الصحابة في عبادة محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!؟ وهل كان يشعر بها في حياة النبي ولم يلاحظها النبي نفسه ، ولم يعلم بها وهو المعلم والمفوض إليه أمر الدين من الله عز

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣١ .

(٢) الترمذي .

وجل ﴿ . . . **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ أم كان النبي على علم بها ولم يصحّحها؟ فإذا كان معناها «من كان يتبع محمداً» أو «من كان يطيع محمداً» فهل كان أبو بكر يريد أن يضع حداً لهذا الاّتباع أو الطاعة بقوله «فإنّ محمداً قد مات»؟ أي أنه حان وقت توقف اتّباعه وطاعته فيما سنه وشرعه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ ثم هل على الناس بعد هذا أن ينصرفوا عنه وسنته ويقطعوا عهدهم به ويعبدوا من لا يموت؟ «فإن الله حي لا يموت» فيتَّبعوا ويطيعوا الله بمعزل عن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ أليس في هذا تفريق بين الله ورسوله؟ لأنّ الله تعالى يقول ﴿**مَّن يُطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ** . . .﴾[1]؟ وأين مكان هذا الكلام مَن الآية ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا** . . .﴾[2] ؟ وقد يفهم من هذا الموقف البكري أن يلتف الناس حول التشريع الذي يطبقه الخليفة دون الالتفات لذات النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، فإنّه قد بلّغ الرسالة

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٢) سورة النساء ، الآيات : ١٥٠ ، ١٥١ .

وأدى الأمانة وانتهى دوره - كما يرون- فيجب ألا ينشغل به الناس وبالتالي لا مزية لعترته على بقية الأصحاب!! ويكون هذا المفهوم هو الذي حدا بعمر بن الخطاب على الإغارة على أهل بيت رسول الله كما قالت الزهراء عليها السلام ومحاولة إجبار عليّ عليه السلام على مبايعة أبي بكر . وإذا انصرف الناس عن طاعة محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وسنته فهل يريد لهم أبو بكر أن يتبعوا ويطيعوا الله الذي لا يموت ولكن على سنة الخليفة أو الحاكم الجديد؟ ثم يجعلون لرأس الدولة سنّة كسنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله التي أُهملت أو أُبدلت بها تحت شعار «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ»[1]؟! لأنه لا بد للدولة من أمر مطاع على نهج سَبَقَ من سنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله التي فُقِّدت أو أُهملت لتأتي مكانها سنة الحاكم أو الخليفة!! وقد أكد رفض العمل بهذا الحديث سيد العلماء باب مدينة العلم علي عليه السلام ، حينما قال له عبد الرحمن بن عوف - الذي قال عنه عمر بن الخطاب إنه فرعون هذه الأمة- أُبايعك على أن تعمل بما كان عليه رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله والشيخان ، فرفض علي عليه السلام العمل بما كان عليه الشيخان . وقال

---

(١) المستدرك على الصحيحين .

اجتهد رأيي فبايع لعثمان . وهذا الأثر واضح في أن ما كان عليه أبو بكر وعمر بن الخطاب لم يكن سنة ملزمة لأحد ، وإلا لما كان لعلي عليه السلام أن يرفضه . وكذلك رفضُ عمر بن الخطاب للمتعة يؤكد أن ما كان عليه أبو بكر لم يكن ملزماً له لأن أبا بكر أقر المتعة ولم ينه عنها .

حُكم إسلامي أم حُكم مسلمين

قال الله تبارك وتعالى ﴿ . . . **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[1] وقال تعالى ﴿**طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾[2] وقال عزّ من قائل ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ**﴾[3] .

فهل كان النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حاكماً ، أو أميراً ، أو سلطاناً ، أو ملكاً . . .؟

لقد كان صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله مبيناً للناس حكم الله لهم في الأمور . أي أنه كان مشرعاً معصوماً . وتشريعه يعني أنه تبيان لحكم الله للعالمين . قال تعالى ﴿ . . . **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ**

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٤ .

(٢) سورة طه ، الآيات : (١-٣) .

(٣) سورة الغاشية ، الآيات : (٢١-٢٤) .

يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] وعلى الناس اتّباع ما يأمر به وينهى عنه ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّـهِ . . .﴾**[2] ومن لم يتبع الرسول فإنّ الله هو الذي يتولى عقابه وعذابه فإما عجل له في هذه الدنيا بفتنة وعذاب أليم ، ﴿ . . . **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[3] وإما أجّل له ذلك في الآخرة ومثواه جهنم وبئس المصير . ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾**[4] فكانت أوامره ونواهيه تُنفّذ من الناس بمجرد سماعهم لها منه . وما كان صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يفرضها عليهم بواسطة الشرطة أو العرفاء . حتى أنه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لم يُجبر أحداً على أن يشهد أنه رسول الله!! ولم يؤثَر عنه أنه قال لأحدٍ إما أن تشهد إني رسول الله وتبايعني وإلا حرقت عليك دارك ، كما فعل عمر بن الخطاب مع أهل بيت النبوة لإجبارهم على مبايعة أبي بكر . .!!! بل كلّ من بايعه على أنه رسول الله بايعه طواعية . ولم يصدر منه إكراه

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١١٥ .

قط على مبايعته لأحد من خلق الله . فالله سبحانه وتعالى قال ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ . . .**﴾[1] . وقال تعالى ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ . . .**﴾[2] .

والنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بيّن للناس مطلب الحق منهم بأسلوبه الذي مدحه الله به ، ألا وهو الخُلُق العظيم . بعيداً عن أسلوب التهديد والوعيد والإحراق والقتل الذي يصدر من الحكام عادةً ، على أولئك الذين يرفضون مبايعتهم ، وإن لم يُبدوا معارضة لهم ، على الرغم مما عنده من التصريف من الله ، ومعية جبريل والملائكة . .! فبيّن صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الجزاء للمحسن والمسيىء ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[3] . وقال لهم «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**»[4] . فأصبح ميزان التعامل عند الناس هو الميزان الأكبر الذي توضع فيه حسنات المرء وسيئاته يوم القيامة . فاستقام سلوك الناس عند ذلك لرغبتهم في الحياة الباقية وقلّ تعلقهم بالحياة الفانية وتيقنوا أنّ الحياة الدنيا متاع الغرور . وأصبح المعلم الأكبر صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٢٩ .

(٣) سورة المطففين ، الآية : ٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد .

قبلة القلوب لتتلقى منه العلوم وتغرف من بحر السعادة وتسعى للقرب منه وتقصد البقاء بمعيته . فهو رسول الله وأحب خلقه إليه حتى أنه مدحه جلّ وعلا من شدة حبه له . ثم إن له في الآخرة حيث الحياة الباقية الأبدية من الكرامة ، ما ليس لأحد من الأنبياء والمرسلين ، لمقامه المحمود عند الله . فالذي يتقرب إليه ويحبه ويتودد إليه ، إنما يرجو بذلك النجاة يوم القيامة **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾**[1] .

فكان صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إذا قال لهم **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾**[2] قالوا «انتهينا يا رسول الله» فقام كل مَن عِندهُ خمرة في داره بإراقتها حتى سالت الخمر على أروقة المدينة . فهل أرسل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بعد ذلك من يفتّش بيوت الذين لم يقوموا بإراقة خمرتهم . .؟ أو هل تجسس على من يشرب الخمر كما فعل عمر بن الخطاب وتسوّر المنازل مخالفاً لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله **﴿ . . . وَلاَ**

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٢٧ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٩١ .

تَجَسَّسُوا . . .﴾[1]؟ هل عيّن شرطة أو رجالاً لحفظ الأمن لمراعاة تنفيذ أوامره وملاحقة المتسترين . .؟ أم كان العكس تماماً حيث قال «**من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»[2]؟ حتى يعلم الملتزمون بأوامره ونواهيه ، بأنّ ذلك الالتزام لا يعطيهم حق التسلط والفوقية الدنيوية ، على أولئك الذين ضعفت نفوسهم! وحتى لا توجد طبقات أو طبقة سلطوية باسم التقرب أو التعبد ، أو تدّعي ذلك لمجرد ظهورها بالموافقة الظاهرية على الأوامر والنواهي الشرعية . .! «**إن الله لا ينظر إلى صوركم** . .»[3] وحتى يعلم أصحاب الالتزام ومظهرو الاتباع أن الذنب لا يعطيهم الحق في إساءة التعامل مع مرتكبه (المذنب) بل يوجب عليهم ستره ، - إلا إن كان كذباً- إن كانوا متبعين للهدى المحمدي ، ويرجون الستر في يوم تشخص فيه القلوب والأبصار . فإن كان هناك جرم وثبت ، فالعقاب المشروع من الله ينفذ لا أكثر . أما الذي يسوق اتهاماً يعجز عن أن يأتي فيه ببينة كافية لإثباته فقد عرّض نفسه للعقاب ، وإسقاط شهادته مستقبلاً . .!! فقد رد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٢ .

(٢) ابن ماجه .

(٣) صحيح مسلم .

على الذي بلّغ بأنه وجد رجلاً مع امرأة بقوله «**كان أولى لك أن تسترهما بثوبك**»[1] .

كان الناس هم الذين يأتون إلى رسول الله يتحاكمون إليه . ولم يكن هو الذي يجبرهم على ذلك . بل كان يحثّهم على عدم التخاصم إليه وعلى التصالح قبل الوصول إليه بالشكوى . وكان الذي يسوقهم إليه هو قول الله تعالى في جعله المرجعية لهم ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[2] وعلى هذا يفسر الحكم في الإسلام بأنّه الاحتكام إلى التشريعات المنزلة من الله . وهو واجب على طرفي النزاع – إن كانوا مسلمين– ولا إكراه عليهم في ذلك . ولكن إن لم يفعلوا فقد خرجوا عن التسليم لله ورسوله . وواجب على المحتكم إليه – وهو المرجعية – تطبيق الشرع المنزل على المتخاصمين وإلا خرج هو عن الإسلام . فالحكم هو القضاء . والآيات التي نزلت في كتاب الله تبين ذلك . قال تعالى ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ . . .**﴾ وهذا يوضح أنّ الحكم المعني هو كما في التوراة من التشريعات المنزلة وليس الحكم المقصود هو الحكم السياسي المدني قال تعالى

---

(١) مسند أحمد .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1] وما أنزل الله هو التشريعات : قال تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2] والحكم هنا هو تطبيق القانون الإلهي المنزل . وقال تعالى ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3] وقال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ . . .﴾[4] وقال تعالى ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ . . .﴾[5] وقال تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ

---

(١) سورة المائدة ،الآية :ؤ ٤٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٧ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٤٩ .

أَحْسَنُ مِنَ اللَّـهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] وهذه الآية صريحة في أن حكم الله هو التشريعات التي أنزلها ، فكان حكمه لمن جاءته معترفة بالزنا – بعد أن أدار وجهه عنها ثلاث مرات ، وذلك لإعطائها فرصة الرجوع عن الاعتراف– مبدوءاً بتحقيق عن معرفة المتهمة للزنا بكلماته المترادفة ، فلما ذكرت له أنها حبلى ، أمرها بالرجوع حتى تضع حملها . فهل لاحقها بعد ذلك لتنفيذ العقوبة عليها؟ كلا بل جاءت بنفسها بعد أن وضعت حملها!! فأمرها بالرجوع لإرضاع طفلها حولين كاملين ولم يرسل في طلبها بعد إتمام المدة ، ليعلم من يريد أن يعلم ومن لا يريد أن يعلم أنه لا تسلط ولا إجبار ولا تجسس ولا رغبة في إيذاء الناس وعقابهم!!! هذا لمن ثبت عنده هذا الحديث!!

وقد وضع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله التشريعات في الناحية المالية وأوضح ما يجب على الموسر في ماله وما للفقير من حق في مال الموسر وحينما جاء قول الله تعالى ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا . . .**﴾[2] وضّح النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حق الله في المال . ولم يجبر أحداً على إخراجه . وكانت الزكاة

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣ .

تدفع اختياراً والنبي يأخذها منهم إذا دفعوها . وكان يحثهم على إخراج الطيب منها لقول الله عز وجل ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** . . .﴾[1] ولم يكن يرُد الزكاة وإن أخرجت من غير الطيب من المال! ولم يجبر أحداً على إخراجها ولم يدقق في أموال الناس للتأكد من القدر المخرج ليحاسبهم عليه! بل إن من رفض دفع الزكاة كان عقابه له سلبياً إذ رفض أن يقبلها منه مرةً أخرى ، وقال فيه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «ويح ثعلبة» . فألقى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله المسؤولية على كلّ مسلم في نفسه . فإن كان أسلم لله طواعية ، فعليه اتّباع النبي للنجاة والإتيان بكل ما جاء به في العبادة والمال والمعاملات . ولكن يظل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو المرجعية في النزاعات النفسية والاجتماعية حين يعجز الأفراد عن الحل . لأنّه هو المُبيّن لكتاب الله للناس . ويستمر الأمر من بعده لعترته على هذا المنوال . قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به بعدي لن تضلوا كتاب الله وعترتي ، لا يفترقا حتى يردا على الحوض**»[2] . فلا سلطة ولا تسلط ولا حكم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٩٢ .

(٢) الترمذي والحاكم .

ولا تجبر ولا إكراه ولا إذلال ولا تعالٍ على الناس إنما هو قضاء بما شرعه وأنزله الله . . .

قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لمن أخذته الهيبة منه «**هون عليك فإني لست بملك إنما ابن إمرأة من قريش كانت تأكل القديد**»[1] . . . وحتى لا يعتقد أو يظن بعض الناس أنّ هنالك سلطة أو رئاسة على الناس لمن كانت لهم صلة مصاهرة أو نسب برسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ، غير عترته التي نصّ عليها ، فقد بيّن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ذلك بياناً شافياً عملياً حتى لا يكون لأحد شك فيه . فقد عيّن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في آخر أيامه أسامة بن زيد وهو شاب في سن العشرين أميراً على الجيش . وتحت إمرته كل أكابر قريش من المسلمين المهاجرين وفيهم أبو بكر وعمر ، حتى لا يظن الناس أن لهم وضعاً مميزاً أو سلطة دون غيرهم . .!!! فالحكم كان في قلب كلّ مسلم ، فيُنَفِّذ أوامر ونواهي من لا ينطق عن الهوى خوفاً من الله ولغضب رسوله ، لأنه المرجعية المفوض من الله في الأمر لقوله تعالى ﴿ . . . **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** . . .﴾[2] ولا إجبار في عهد النبي لمسلم إلا بخوفه من

---

(١) سنن ابن ماجة – باب القديد .

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

الله ولغضب رسوله. قال تعالى (**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**)[1] وحينما تلكأ بعض الصحابة عن الخروج مع أسامة لكبر في نفوسهم استصغاراً له – وما كان ينبغي لهم – قال النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "**انفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عن بعث أسامة**"[2] فكانت هذه من صور الإجبار، إن جاز أن تسمى إجباراً. فهي عقوبة من الله لغضب رسوله ينزلها على من عصاه ولا يدري أحد كيفية حدوثها وتوقيتها أيعجل الله له بها أم يدخرها له في الآخرة؟!

والمرجعية بعده لمن تركه فينا بأمره لنتمسك به "**كتاب الله وعترتي**"[3] أي أن العترة هي التي تكون لها المرجعية ليحتكم إليها الناس لأنها وكتاب الله لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، حتى لا تضل الأمة في نهج الحكم، عن الأسلوب المحمدي من بعده، ألا وهو وجود المرجعية لكتاب الله ليتحاكم إليها الناس في أمورهم، حين يعجز الأفراد عن حل مشاكلهم النفسية والاجتماعية. فالنبي صلى الله وبارك عليه وآله كان حريصاً على الأمة كما شهد بذلك رب العزة جل وعلا في قوله (...**حَرِيصٌ عَلَيْكُم**...)[4].

قال تعالى (...**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**...)[5] فأمَرَ الله سبحانه رد الأمر إلى الرسول في حال المنازعات وهذا هو حكم الإسلام، قضاء بما أنزل الله من التشريع ولا يشترط أن يكون هناك ملك أو سلطان أو أمير أو رئيس فلم يكن النبي واحداً من هؤلاء. ولا شك أن الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كان معصوماً في أداء رسالته فإتباع أوامره وتوجيهاته وما يأمر به وينهى عنه فيه النجاة بلا شك لمن يتبعه. وعليه فيكون رد المنازعات من بعده لعترته التي أوصى عليها وبَلَّغ أنها وكتاب الله لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. وذلك يعني أن العترة الطاهرة هي الأولى بمعرفة كتاب الله ومقاصده وتأويله. قال تعالى (**لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**)[6] والمسّ يتعلق بالعقل إذ ليس هو اللمس الذي يتعلق بالحواس. والمطهرون هم العترة الطاهرة لقوله تعالى (...**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)[7] إذاً فأهل البيت هم المطهرون وهم الذين لهم الإدراك العقلي لكتاب الله ولن

---

[1] سورة النساء، الآية: 115

[2] شرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص 52

[3] الحاكم

[4] سورة التوبة، الآية: 128

[5] سورة النساء، الآية: 59

[6] سورة الواقعة، الآية: 79

[7] سورة الأحزاب، الآية: 33

يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، وقد أثبت التاريخ الإسلامي عِلم عليّ عليه السلام وتفوقه على بقية الصحابة رضي الله عنهم حتى قال عنه عمر **"لولا عليّ لهلك عمر"**[1] ولم يقل "لولا الله" **"ولا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن"**[2] فعليّ عليه السلام هو عميد العترة الطاهرة وهو الوحيد من بين الصحابة الذي آخاه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بنفسه في المرتين اللتين آخا فيهما بين المهاجرين والأنصار. وقال فيه عند حجة الوداع عند غدير خم **"من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه"** تبليغاً لقول الله تعالى في سورة المائدة –وهي آخر سورة أُنزلت من كتاب الله– **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...)**[3] فكمل بذلك تبليغ الرسالة لضمان استمراريتها في العترة الطاهرة. وبيَّن الأمر من بعده للاستمرارية في عترته باعتبار الحكم أمراً دينياً وهو القضاء. فهل عقله المسلمون والتزموا به؟.

إن التاريخ يحكي لنا أن المسلمين تنازعوا على السلطة قبل تجهيز النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، حيث تركوه مسجى مع أهل بيته وتنازعوا في السقيفة: **"منا أمير ومنكم أمير"** وقال أبو بكر منا الأمراء ومنكم الوزراء وأنساهم حب السلطة الاحتكام إلى كتاب الله والعترة، الذي خطه لهم النبي ووصاهم به، ليعصمهم من الضلال من بعده، فنتج عن ذلك فلتة – كما قال عمر بن الخطاب – كانت هي بيعة أبي بكر. وشهادة عمر بن الخطاب على بيعة أبي بكر بأنها كانت فلتة وقى الله شرها تخرجها عن كونها تمت بالشورى، وعن كونها أمر ديني فالدين لا يُبنى على فلتة أو وصية النبي. إذاً فهي أول بدعة حدثت بعد النبي. وأما الذين يقولون إن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله معصوم في التشريع فقط فهؤلاء ملزمون بأن يقولوا إن كل أمر صدر من أبي بكر وعمر ليس ديناً بل أمر مدني يمكن رفضه لاحتمال الخطأ فيه لأنه اجتهاد شخصي لمعالجة أمور دنيوية اجتماعية، صادرة من أمير أجبر الناس على طاعته و**(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...)**. وأبو بكر يعلم أن حكمه كان مدنياً لأنه هو الذي قال "منا الأمراء ومنكم الوزراء" فكان هو أول أمير أجبر الناس على طاعته واستثنى من ذلك علي بن أبي طالب وكلّ بني هاشم وسعد بن عبادة. ولذلك يمكن أن يطلق على حُكم أبي بكر أنه حُكم مَدَني، وليس ديناً يُحكم على من يرفض الانصياع له بالردة والخروج عن الإسلام، ثم يعاقب بالقتل. وإلا لكان علي بن أبي طالب وسعد بن عبادة في عداد المرتدين!!. – فعليّ لم يبايع أبا بكر، لمدة ستة أشهر؛ وكذلك فعل سعد بن عبادة بالنسبة لخلافة عمر – وحاولوا إصلاح تلك الفلتة بمحاولة إجبار أهل البيت على مبايعة

---

[1] منهاج السنة لأبن تيمية.

[2] أنساب الأشراف للبلاذري.

[3] سورة المائدة، الآية: 67

أبي بكر. ولكن امتنع كل بني هاشم عن مساندة تلك الفلتة وسعد بن عبادة، وبذلك فَقَدَ تنصيب أبي بكر وصفه بالشوريّ. وجزم بن الخطاب بأنه كان فلتة فحسم بذلك القول انعدام الشورى فيه. ثم جاء بعده تنصيب عمر بقرار فوقي من أبي بكر بتعيينه دون استشارة أي أحد من أهل الحل والعقد أو صحابي أو صحابية، فبُني على الفلتة – بيعة أبي بكر–..! وكذلك كانت بيعة عثمان فإنها تمت بقرار من عمر – الذي كان حكمه مبنياً على الفلتة– بتعيينه ستة ليكون الخليفة من بينهم. وبما أن حكم عمر كان مبنياً على فلتة أبي بكر فما صدر منه ينسحب على كيفية تنصيبه. زد على ذلك أن القرار بجعل الشورى في ستة أشخاص لا سند له من السنة لذلك يعتبر امتداداً لحكم مدني.

فإذا كان كتاب الله والعترة لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فإنّ الذي صار بعد النبي صلى الله وبارك عليه وآله، وما فعله المسلمون هو اتخاذ العترة الشريفة (التي أوصى عليها النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله) معارضة للحكم من بعده! وأول ما بدؤوا به هو الإغارة على عترة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله! أي أن أنصار الخليفة وعماله وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أغاروا على كتاب الله وعترته (لأن العترة وكتاب الله لا يفترقا) وذلك يعني أن الحكم صار بجانب، وعترة النبي ومعها كتاب الله صاروا في الجانب الآخر وصُنفوا معارضة وكادت تحرق عليهم ديارهم! ففقد الحكم الصفة الدينية ليس بخروجه على وصية النبي فقط بل بالهجوم عليها! لذلك فهو حكم مدني وليس ديناً. فبينما النبي صلى الله وبارك عليه وآله لم يجبر أحداً على مبايعته، فإذا بالخليفة الأول أبو بكر، أو على الأحرى مستشاره ورفيقه عمر بن الخطاب، لا يتردد في إجبار أهل بيت النبي على مبايعة الخليفة ولو دعى ذلك إلى إحراق الدار عليهم وفيها بنت النبي، وسيدة نساء العالمين التي كان يناديها النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "**يا أم أبيها**"[1]. "**الله.. الله في عترتي، أُذكِّركُم الله في أهل بيتي**" هكذا قال النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، فإذا بأولّ غارة من الحاكم الجديد أو الخليفة الأول تكون على عترته صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله..!! وهو رسول الله المفوض إليه أمر الدين، فقالت الزهراء عليها السلام "ما أسرع ما غرتم على أهل بيت رسول الله" (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**...)[2] "أهذه وصيته لكم في عترته وأهل بيته؟؟" وقالت لأبي بكر وعمر حينما راجعا أنفسهما وأتيا إليها يطلبان عفوها قالت وهي مدبرة عنهما "**أُنشدكما الله أسمعتما أبي يقول فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويؤذيني ما يؤذيها؟" قالا "نعم". قالت "والله إني غاضبة عليكما وسأظل أدعو عليكما عقب كل صلاة حتى**

---

[1] صحيح مسلم

[2] سورة آل عمران، الآية: 144

ألقى أبي"[1]. فأين الحكم من كتاب الله الذي لا يفارق العترة؟ وإذا فارق الحكم عترة النبي وكتاب الله فهل يكون حُكم إسلام أم حُكم مسلمين أي (حكماً مدنياً)؟.

ولما استمر أبو بكر خليفة على الناس لم يلتزم بالنهج المحمدي في أخذ الصدقة أيضاً فالنبي لم يجبر أحداً على دفعها ولكن أبو بكر أول ما فعله كان قتال المسلمين على دفع الصدقة واعتبر عدم دفعها ردة عن الإسلام بينما النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لم يقل لمن رفض دفعها إنه مرتد ولم يعاقبه إلا بعقاب سلبي وهو رفض قبولها منه مستقبلاً وحسابه على الله. أما أبو بكر فقد قال "**والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم على منعه**"[2] فهل كان هذا هو الأسلوب النبوي في أخذ الصدقة؟؟! وهل عدم دفع الزكاة يعتبر ردة في الإسلام؟؟ لقد قال عمر معارضاً لأبي بكر على تلك الحروب "**كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**"[3] ولا أرى في هذا الاعتراض إلا أنه ينفي عن تلك الحروب صفة الرِّدة وجاز أن تسمى حرب العقال.

فقد جاء في ذكر ما يُسمى "حروب الردة" أن خالد بن الوليد الذي أرسله أبو بكر لحرب مانعي الزكاة وجد مالك بن نويرة وقومه يقيمون الصلاة فلم يرده ذلك عن قتلهم وقتل مالك بن نويرة ليبيت مع زوجته في نفس الليلة ودمه لم يجف بعد فقد كانت جميلة جداً!!! وقد طلب عمر من أبي بكر إقامة الحد على خالد.. حد الزنا. وقال لخالد "**قتلت امرءاً مسلماً ونزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك**"[4]. ولكنّ أبا بكر يقول له لقد اجتهد فأخطأ.. وعندما تولى عمر لم يقم عليه الحد بل عزله عن قيادة الجيش!!!

يُلاحظ أن عمر طلب من أبي بكر إقامة حد الزنا على خالد، وذلك يعني أن خالد زنا بمسلمة لم تتم عدتها أي أنها ليست من الغنائم أو السبايا. إذاً فالحرب لم تكن ضد كفار تحلّ غنائمهم وتُسبى نساؤهم!!

إنّ الانضباط الاجتماعي الذي كان سائدا في عصر النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كان مصدره في قلب كل مسلم لمراقبته لله تعالى، لأن كلّ إنسان كان يتعامل من أجل النجاة في الحياة الأخرى. فكان الكل يقصد إحسان التعامل مع الله!! فإن التبس عليه أمر فالمرجعية هي النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. فلو كان الانضباط الاجتماعي ناتجاً عن خوف في عهد

---

[1] صحيح البخاري

[2] صحيح البخاري

[3] صحيح مسلم

[4] سير أعلام النبلاء للذهبي.

النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فهو من عدم حُسن التعامل الذي يرضي الله، لا خوف إكراه وإجبار أو عقاب دنيوي من حاكم؛ فالخوف من الحاكم يورث النفاق بينما الخوف من الله ينتج الإخلاص والصدق والنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ما كان يلاحقهم بالشرطة لإحضارهم وعقابهم، بل كانوا هم الذين يتحاكمون إليه. وكان هو المرجعية لإزالة ما يُخيف، لذلك كان محبوباً وليس مخيفاً. وإن كان هناك خوف من الله فإن مركز ذلك الخوف هو النبي أيضاً، وذلك لأن الله ربط غضبه بعدم حُسن الأدب والتعامل مع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وجعل أذاه أذى له!! ولو استمرت المرجعية من بعده لعترته كما أوصى فإن الأمر لم يكن ليختلف، لأن في رضاء العترة رضاء النبي الذي هو رضاء الله. فيستمر حُبّ النبي والعترة ويسري الحُب في المجتمع الذي يكون هو باعث الانضباط الاجتماعي. فيكون الحُكم لله وله مرجعية لتبيان ما يُختلف عليه، ارتضاها الناس وسلموا لها لوصية النبي ولها الحق في الإفتاء في كل ما يخص المعاملات، والفصل في الخصومات، وتنفيذ الحدود إذا أُوصلت إليها دون ملاحقة منها ولا إجبار. ويمكنها الإفتاء بالحرب والدعوة للجهاد. فهي المرجعية التي ارتضاها الناس إتباعاً لوصية النبي صلى الله وبارك عليه وآله وتظل هذه المرجعية أمراً دينياً تجب طاعته لا حكماً مدنياً مبتدعاً بالتسلط والإجبار والقهر!

هل رفضُ عمر بن الخطاب ومعارضته للنبي صلى الله وبارك عليه وآله في كتابة وصيته كان بداية للاهتمام بالدولة في المقام الأول وإبداء رأيه والإصرار عليه في مَن هو الذي يستحق أن يكون أهلاً لها؟؟ مع العلم انهم لم يعارضوا أبا بكر في كتابة وصيته!! وهل تعيين أبي بكر لعمر بن الخطاب للخلافة دون الالتفات لقول الله تعالى (...**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**...)[1]هو من قبيل شدة الحرص على الدولة حتى لا يأخذ برأي أهل الحل والعقد في من الذي يخلفه؟ وهل هو من الفقه ترك الشورى في تعيين الخليفة إذا رأى الحاكم الراحل ذلك، ولا يتقيد بالنص القرآني الذي أشرت إليه، وقوله تعالى أيضاً (...**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**...)[2] كما فعل أبو بكر؟ أم هل يا ترى هي نظرة علي بن أبى طالب عليه السلام حينما أراد عمر بن الخطاب أن يجبره على مبايعة أبي بكر حيث قال له علي "**أحلب له اليوم حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً**"[3] ويُفهَمُ من قول علي أن عمر بن الخطاب يمكّن ويوطِّد لأبي بكر ليوليه الأمر من بعده كأن هنالك اتفاقٌ بينهما يدركه الإمام علي عليه السلام!! فهل كان الأمر كما قال علي عليه السلام وعيَّن أبو بكر عمر بن الخطاب خليفةً له دون استشارة أحد؟ وبم يوصف تعيين أميرٍ بأمر ممن سبقه في الحكم؟

---

[1] سورة الشورى، الآية: 38

[2] سورة آل عمران، الآية: 159

[3] الامامة والسياسة

أهو أمر ديني؟ فلا يوجد في الدين ما يؤيد ذلك!! أهو أمر شورى؟ بالطبع لا لأن أبا بكر لم يستشر أحداً!! أهو بدعة؟ أي أمرٌ من حكم مدني؟ لأنه ليس سنة من سنن النبي وما لم يكن سنة فهو بدعة!! وهل معارضة عمر بن الخطاب لأمر النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في توليته أسامة بن زيد قيادة الجيش كان من وجهة النظر هذه؟ أي لم ينظر له كأمر ديني تجب طاعته؟ وهل يحق له أن يعارض النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ فقد قال له أبو بكر "**ثكلتك أمك يا ابن الخطاب أتريدني أن أحل لواء عقده رسول الله ..؟**". أم أن السبب هو أن بعضهم كان يراه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله رجلاً مثل أحدهم يخطئ ويصيب ويهذي أحيانا فلا يأخذون منه كلما يصدر عنه؟؟ فأبو هريرة مثلاً نُسب إليه انه كان يرى أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يهجر!! فقد جاء في مسند أحمد بن حنبل عن أبي هريرة انه قال: **(كان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر قال: فصليت ثم جئت فجلست إليه فقال يا أبا هريرة أشكنب دردء؟ قال: قلت لا يا رسول الله قال: صلِ فإن في الصلاة شفاء)** وقد نُسب إلى عمر بن الخطاب مثل ذلك، حين أمرهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله بإحضار الكتف والدواة، ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده. فقد نسب إليه انه قال **(إن الرسول غلبه الوجع)**!؟ وفي رواية مسلم **(إنه ليهجر)** و**(حسبنا كتاب الله)**[1]. ولهذا لم ينظر إلى أمر النبي كأمر ديني واجب الطاعة! رغم أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أراد أن يكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده! والضلال والهُدى ليس لأحد فيه حقٌ إبداء الرأي لا من الصحابة ولا من غيرهم. فهو أمر يخُصُّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وحده. إذ هو المعصوم الذي يهدي من الضلال. والعصمة لا تُرفع عنه بمرضه. وأمره فرضٌ تجب طاعته على كل مسلم. فهل كان اهتمام عمر ابن الخطاب بالدولة لدرجة أنه لم يلتفت إلى عصمة النبي ووجوب طاعته المبنية على قوله تعالى (...**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)[2]؟ وقوله تعالى (...**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**)[3]؟ وقوله تعالى (...**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**...)[4]؟ أم ترى هل هي طبيعة عمر التي قال له فيها من لا ينطق عن الهوى "إنك امرؤ فيك جاهلية"؟! فقد أجمع العلماء على أنه لا اجتهاد مع النص. وهل تصح نسبة هذه الأحاديث إلى هؤلاء الصحابة؟ فقد ذكروا أن عمر الذي رفض واعترض على النبي في كتابة وصيته بحجة أنه يهجر هو الذي قال للناس اسمعوا وأطيعوا لخليفة رسول الله حينما

---

[1] مسلم والبخاري

[2] سورة النور، الآية: 63

[3] سورة الحشر، الآية: 7

[4] سورة الأحزاب، الآية: 36

كان أبو بكر يملِ على عثمان وصيته وقد أغمى عليه أثناء إملائه للوصية.. ولم يقل إنه يهجر أو حسبنا كتاب الله بينما يقول للمعصوم – الذي حاشاه أن يغيب عقله – إنه يهجر. وقد قال أبو بكر لعثمان بعد أن أفاق من إغمائه ماذا كتبت؟ قال كتبت "وليت عليكم عمر بن الخطاب" فأقره وربما لو كتب عثمان نفسه لأقرّه[1] كأنّ المهم هو أن تكون عترة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله خارج القسمة!!

[1] تاريخ الطبري ج 2.

مدى صحة التاريخ الإسلامي

جاء عن عمر ابن الخطاب في أمر الاهتمام بالدولة حين حضرته الوفاة أنه قال "**لو كان سالم مولى أبي حُذيفة حيّاً لاستخلفته**"[1]، وفي رواية أحمد بن حنبل أنه قال "**لو أدركني أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به، سالم مولى أبي حذيفة..**" رغم أنهم يذكرون حديث "**الأئمة من قريش**"[2]، فهل أراد عمر أن لا يأخذ الناس بحديث النبي أم أن الحديث غير صحيح..؟ لأنّ سالم كان قد توفي آنذاك وتوليته مستحيلة وهو مولى لأبي حذيفة الذي كان قد استاء من وجوده في منزله ودخوله على زوجته أُم حذيفة. فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كما جاء عن عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم في حديث رضاعة الكبير، حيث قالت إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قال لأم حذيفة "**أرضعيه يذهب ما في صدر أبي حذيفة فقالت يا رسول الله إن له لحية فقال لها أرضعيه وتبسم**"[3]!! قالت فأرضعته (بلحيته) فذهب ما في صدر أبي حذيفة!!!!! وقد جاء عن عمر ابن الخطاب أيضا أنه قال **لو ولوها الأجلح لسلك بهم الجادة، قالوا "أتعني علياً" قال نعم، قالوا لم لا توله قال "لا أتحملها حياً وميتاً**" وذلك يعني أن أبا بكر تحملها حياً وميتاً. فكيف ينسبوا إليه ذلك مع قوله "**لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته**"؟ وسبّب ذلك بقوله لأنه يحب الله كثيراً. ألم يكن عمر بن الخطاب من الذين سمعوا النبي صلى الله وبارك عليه وآله يوم خيبر يقول "**لأُعطيّنّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يُحب الله ورسوله ويُحبه الله ورسوله**"؟ وكان عمر بن الخطاب يتطاول يومئذ حتى يراه النبي صلى الله وبارك عليه وآله فسأل عن علي عليه السلام. فقيل بعينيه رمد، فتفل عليهما فبرئ، وأعطاه الراية وفتح الله على يديه. فهذا علي يُحب الله ورسوله بشهادة النبي صلى الله وبارك عليه وآله. وأين شهادة عمر بن الخطاب لسالم مولى أبي حذيفة من شهادة النبي لعلي عليه السلام؟! فكيف يريد عمر بن الخطاب أن يتحملها بتولية أحد الموالي ويشهد له بحب الله ولا يريد أن يتحملها بتولية علي عليه السلام الذي شهد له رسول الله بحُب الله ورسوله؟ فهل هناك خلل في كتابة التاريخ الإسلامي فيما يخص النبي صلى الله وبارك عليه وآله وأصحابه؟

فالتاريخ الإسلامي يقول إن العرب كانت توئِد بناتها خوف العار وجاءوا بقصة عمر بن الخطاب – الوحيدة – الذي دفن ابنته حية مثالاً لوأد البنات خوف العار في الجاهلية. وتاريخ العرب قبل الإسلام عكس ذلك تماماً. حيث كانت المرأة تؤمر من قبل زوجها أن تذهب وتستبضع

---

[1] تاريخ دمشق لابن عساكر.

[2] مسند أحمد

[3] صحيح مسلم، باب رضاعة الكبير

من شخص آخر لمكانته وشجاعته أو ماله!! وكانت النساء يمارسن البغاء علناً ويرفعن لذلك الرايات الحمر، وكان الرجل يرث من أبيه ماله وأمه وأخواته، وكان الرجل يُكره فتياته على البغاء ليجلبن له من المال ما يساعده على عصب الحياة. فأين العار في مجتمع كهذا؟ ففي صحيح البخاري ورد أن عائشة زوجة الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قالت "إنّ النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاحٌ منها نكاحُ الناس اليومَ يَخطُبُ الرجُلُ إلى رجل وليَّتَه أو ابنتَه فيُصدقها ثم يَنكِحُها. ونكاحٌ آخرُ كان الرجلُ يقول لامرأتِهِ إذا طَهُرَت من طَمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويَعتزلها زوجُها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حَملُها من ذلك الرجل الذي تستَبضِعُ منه، فإذا تبين حملُها أصابها زوجها إذا أحبّ، وإنما يَفعلُ ذلك رغبةً في نجابة الولد، فكان هذا النكاحُ نكاحِ الاستبضاع. ونكاحٌ آخر يجتمعُ الرّهط ما دونَ العشرةِ فيدخلون على المرأةِ كلهم يُصيبها، فإذا حَمَلت ووضعَت ومرّ ليال بعدَ أن تَضعَ حملها أرسَلَت، إليهم، فلم يستطع رجلٌ منهم أن يمتنع حتى يَجتمعوا عندَها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمرِكم، وقد ولدتُ، فهو ابنُكَ يا فلان، تُسمّي من أحبّت باسمه، فيلحق به وَلَدُها لا يستطيعُ أن يَمتنع به الرجل. ونكاح الرابع يَجتمعُ الناسُ الكثير فَيَدخلون على المرأة لا تمنعُ من جاءها، وهنّ البغايا كُن يِنصِبَن على أبوابهنّ راياتٍ تكون عَلَماً، فمن أرادَهن دخل عليهن، فإذا حَمَلت إحداهن وَوَضَعت حملَها جُمِعوا لها، ودَعَوا لهمُ القافةَ ثم ألحقوا ولدَها بالذي يَرَون، فالتاطته به ودُعِيَ ابنَه لا يَمتَنعُ من ذلك. فلما بُعِثَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم بالحقّ هَدَم نِكاحَ الجاهلية كله، إلا نكاحَ الناس اليوم"[1].

وجاء القرآن موضحاً ما كان عليه سوء الحال في الجاهلية وشيوع المرأة. فحرّم عليهم أمهاتهم وأخواتهم وعماتهم وخالاتهم وبنات الأخ وبنات الأخت والأخوات من الرضاعة مما كان مشاعاً عندهم. ولو لم يكن موجوداً أو مشاعاً عندهم لكان التحريم الإلهي عن ممارسته في غير محله لانعدام السبب. فلم يكن قتل الأولاد أو البنات في الجاهلية إلا من شيء آخر، ألا وهو الإملاق. لا خوفاً من العار، كما يقولون في التاريخ الإسلامي. فحرّم الإسلام قتل الأولاد لأن الله هو الرزاق (...**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**...)[2] وحرّم شيوع المرأة، قال تعالى (**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**)[3] فأنهى سلوك

---

[1] البخاري في النكاح

[2] سورة الأنعام، الآية: 151

[3] سورة النساء، الآية: 23

الجاهلية من شيوع المرأة وقتل الأبناء خوف الفقر وحرّم إكراه الفتيات على البغاء قال تعالى (...**وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**...)[1] فالإنكار الإلهي يكون على الأرجح مقصوداً به قتل الأبناء ووأد البنات ودفنهن أحياء خشية الإملاق لا خوفاً من العار. ولِعظَم وشناعة وأد البنات وبشاعته لم يُنزل الله فيه أمراً بالمنع فقط بل ذكره بصورةٍ تُظهر سوءه وفحشه على مَن فعله قال تعالى (**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**)[2] ويقول التاريخ الإسلامي أنها نزلت في عمر بن الخطاب فهو الوحيد الذي أبرزه التاريخ الإسلامي في هذه السورة وبهذه الصورة مثالاً لمن حذا حذوه ودفن ابنته حّية..! قد يكون عمر فعل ذلك بعد البعثة ولكن قبل إسلامه فلم يكن عمره حين البعثة يجاوز العشرين سنة. فهل التاريخ الإسلامي مخالف لحقيقة الواقع التاريخي!؟

وقد نسب إلى عمر بن الخطاب على لسانه عدة روايات عن إسلامه! فهل يا ترى أسلم عدة مرات أي أنه أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر ثم...الخ؟ أم أن هناك كذبٌ في ثلاث من الروايات؟ ولمن يُنسب؟ وكيف تُعرف الرواية الصحيحة؟ نذكر منها:

القول الأول: عن ابن عباس رضي الله عنه سألت عمر لأي شيء سميت بالفاروق فقال: "أسلم حمزة رضي الله عنه قبلي بثلاثة أيام ثم شرح الله صدري للإسلام فقلت "الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى فما في الأرض نسمة أحب إليّ من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أختي هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم فأتيت الدار فأخذ رسول الله بمجامع ثيابه وقال ما أنت بمنتهٍ يا عمر قال قلت أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..." فكيف عرف الأسماء الحسنى وهو مشرك لم يسلم بعد؟

القول الثاني: "دخلت في أستار الكعبة في ليلة قارة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وعليه نعلاه فدخل الحجر وصلى ما شاء ثم انصرف قال فسمعت شيئاً لم أسمع مثله قال فخرج فتبعته، قال ما هذا قلت عمر قال يا عمر ما تتركني ليلاً ولا نهاراً قال فخشيت أن يدعو عليّ فقلت أشهد ألا إله إلا الله وإنك رسول الله. فقال يا عمر استره قال فقلت والذي بعثك بالحق لأعلنّنه كما أعلنت الشرك". وإن صح هذا الحديث يكون عمر قد خالف النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ساعة إسلامه حيث أمره بالستر فرفض الأمر النبوي!!

القول الثالث: "سمع أن أخته وختنه أسلما فجاء إلى دارهما فكان ما كان من ضربه أخته حتى أدمى وجهها ثم طلب منهما الكتاب ليقرأ فقالت أخته إنك رجس... فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ

---

[1] سورة النور، الآية: 33

[2] سورة التكوير، الآيات: 8، 9

(...) إلى قوله تعالى فقال دلوني على محمد... فقال عمر أشهد أنك رسول الله". فأي هذه الروايات يمكن الأخذ بها وتكذيب غيرها؟ وما هو القول فيما لا يؤخذ به؟ أهو الدس أم الكذب ولمن يُنسب؟ ذكر هذه الأحاديث ابن الجوزي في كتابه "مناقب الخليفة العادل عمر بن الخطاب" (طبعة دار الإسراء – عمان 2004م).

وفي كل الأحوال فإن هذه الروايات فيها ما يسيئ إلى الحبيب صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، إذ يبدو خائفا يترقب فعل عمر ومراقبته له، وفيها بالطبع ما يسيئ إلى عمر نفسه، إذ تظهر غلظته في الروايات من ضربه اخته، وفيها من التناقض الواضح في الرواية فكيف يتوضأ عمر ويقرأ القرآن قبل إسلامه .....!!

وجاء أيضاً أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله تزوج خديجة ولها من العمر أربعون عاماً، ويذكرون أنها ولدت له رقية وزينب وأم كلثوم والقاسم وعبد الله والطيب وفاطمة. فهل يمكن لامرأة فوق الأربعين أن تلد أكثر من طفل إن قُدِّر لها أن تلد..؟ فالطفل الواحد حمله تسعة أشهر وفصاله في عامين كما جاء في القرآن الكريم وذلك يعني أنها رضي الله عنها ظلت تلد حتى قاربت الستين سنة! هذا لو كانت تحبل مباشرة بعد فطام كل طفل..! ولا يُنكر حدوث المعجزات، ولكن لم يذكروا أن خديجة رضي الله عنها كانت امرأة غير عادية وأنها ظلت تلد كذلك لا كعادة النساء اللائي يقفن عن الحمل في سن الأربعين. وإذا استحال ذلك فهل من هؤلاء الأبناء مَن هُم أبناء خديجة مِن زوجها السابق، وأنَّ خديجة لم تلد للنبي صلى الله وبارك عليه وآله غير فاطمة عليها السلام؟ وبقية بناته بالتبني كما كان زيد ابنه بالتبني؟ ولذلك كان اهتمامه بفاطمة أكثر من غيرها وهو أعدل الناس؟ فقد ورد عنه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أنه أمر أن يعدل الإنسان في تعامله بين أبنائه فهل يكون هو أول المخالفين؟

يسوقنا ذلك إلى التساؤل عن خطبه التي زادت على الخمسمائة على الأقل، والتي خطبها صل الله وبارك عليه ووالديه وآله يوم الجمعة خلال حياته في المدينة المنورة، كيف أهملها التاريخ وحفظ خطب الحجاج وزياد..؟ فقد اشتهر العرب بحفظ المُعلقات قبل الإسلام!! وكذلك التساؤل عن قبر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهل صلى عليها أبو بكر وعمر بن الخطاب كما كان التساؤل عن صلاتهما على أبيها صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ وكم كان عدد المصلين عليها وعدد المصلين على أبيها؟؟؟

فهل لعبت الإرادة السياسية دورها في تغييب صحة النقل عن النبي وأهل بيته الذين اتخذهم الأمويون معارضة؟ فبالغوا في قتلهم وقتل اتباعهم وعلمهم وفكرهم، حتى تستقيم لهم الدولة ويصفو لهم الحكم دون مُساءلة دينية..؟ فيمكن للحاكم شرب الخمر واللعب بالصلاة كما فعل يزيد بن معاوية والوليد بن عقبة..!! وكذلك فعل معهم العباسيون في سوء معاملتهم وقتلهم. وقد بدأ الحكّام

الأمويين اللعب بالدين منذ عهد عثمان بن عفان، حيث صلى الوليد بن عقبة الصبح بالناس أربعاً ثم التفت إليهم وقال "أزيدكم"[1]، وكان والياً من قِبَل الخليفة عثمان. وفي مسند أحمد "أن معاوية قَدِم مكة حاجّاً فلما صلى بهم الظهر ركعتين، نهض إليه مروان ابن الحكم وعمر بن عثمان فقالا له "ما عاب أحدٌ ابن عمك بأقبح ما عبته به" (يقصدان عثمان بن عفان) فقال لهما: "وما ذاك؟" فقالا له "ألم تعلم أنه أتمَّ الصلاة بمكة؟" فقال لهما "ويحكما وهل كان غير ما صنعت؟ قد صليتهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما" قالا "فإنَّ ابن عمك قد كان أتمها وإن خلافك إياه عيب" فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بهم أربعاً"!!!

[1] مسند أحمد

هل هناك سنة موازية للسنة النبوية؟؟

هل يُفهم من حديث "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ" العصمة لفعل الخلفاء؟ وإعطاء حكمهم الصيغة الدينية..؟ لأنه إذا كان فعلهم سنة أمَرَنا رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بإتباعها، فذلك يعني إتباعهم في كلّ ما يفعلون ويقولون! ولا ينبغي الاعتراض عليهم أو نسبة خطأ لهم، حتى ولو تركوا سنة من سنن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، أو قاموا بفعل ما يخالفها. لأن تركهم لسنة من سنن النبي أو الإتيان بفعل مخالف لها يصبح سنةً علينا إتباعها!! وهل من هذا القبيل جاء ما نُسب إلى الخلفاء وما جاءوا به من تشريع يخالف تشريع النبي صلى الله وبارك عليه وآله؟ فقد نُسب إلى عمر قوله "**إن القرآن هو القرآن وإن الرسول هو الرسول، وإنها كانتا متعتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إحداهما متعة الحج فافصلوا حجكم عن عمرتكم فإنه أتم لحجكم وأتم لعمرتكم، والأخرى متعة النساء فلا أوت برجل تزوج إمرأة إلى أجل إلا غيبته في الحجارة**"؟ (أخرجه بن شبة في تاريخ المدينة عن جابر، وذكره الفخر الرازي في مفاتيح الغيب) وأخرج النسائي عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول "**والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله ولقد فعلها رسول الله**" فهل يُعقل أن يخالف عمر بن الخطاب كتاب الله وفعل رسول الله علانية؟ وهل نقبل نحن أن يخالف عمر بن الخطاب القرآن والنبي استناداً على هذه الأحاديث؟ أم الأولى رفضها؟؟ ولكننا إذا رفضنا هذه الأحاديث كيف يتفق لنا أن نأخذ أحاديث أخرى من المصدر نفسه تعدد فضائل الصحابة..؟ وعلام نستند؟ وما هي مرجعيتنا في أن نقتبس منها ما نريده ونرفض ما لا نريده؟ فإن المصدر الواحد إما أن نأخذه كله أو نتركه كله. أو تكون هناك شروط إضافية لتميز ما يؤخذ وما يُترك من المصدر. وليس لنا الحق في أن نأخذ ما يزين ونترك ما يشين من غير ضابط! فاهتزاز المصداقية في جزء ينسحب على الكل! وقد جاء أن عمر بن الخطاب أيام حُكمه غيَّر حدّاً من حدود الله ولم يلتزم بتشريع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. فقد غيَّر حد الجلد في الخمر من الأربعين التي فرضها رسول الله عقاباً على شُرب الخمر إلى ثمانين جلدة[1]، مخالفاً ما أمر الله به (...**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**)[2] فهل هذه سنة أم بدعة مُخالفة لسنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أي

[1] سنن أبي داؤود

[2] سورة الحشر، الآية: 7

تشريع من حكم مدني؟ وقد جاء حُكم الله في الطلاق في قوله تعالى (**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ...**)[1] وجاء عن عمر أنه قال "**إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم**"[2] والأمر هو ثلاث تطليقات جميعاً في مجلسٍ واحد. فأجاز التطليقات الثلاث مرةً واحدة رغم قول الله تعالى الصريح بأن الطلاق يكون مرتين ،وجاء ايضاً أن رسول الله أُخبر بأن رجلاً طلّق زوجته ثلاث تطليقات جميعاً في مجلس واحد فقام غاضباً وقال "**أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهُركم**"[3] ورغم ذلك أمضى عمر الثلاث تطليقات في مجلس واحد!! فهل هذه بدعة مخالفة لسُنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أي أنها تشريع من حكم مدني أم أنها سُنة تُتّبع؟ كذلك كان حريصاً على جعل الجدّ في مكان الأب في الميراث وذهب إلى زيد في منزله وقال له إنه يريد أن يوَرّث الجد مكان الأب فلم يوافقه زيد وخرج من عنده مغضباً. ثم دعا عدداً من الصحابة وأراد أن يجمعهم على إرث الجد مكان الأب فخرجت لهم حيّة فتفرّق الجميع فقال عمر "إن الله لا يريد أن يمضي هذا الأمر". ولكن حينما حضرته الوفاة أمر ابنه عبد الله بأن يحضر لوحاً كان قد كتب عليه ميراث الجد وطلب منه أن يمحو ما في ذلك اللوح[4]. مما يدل على إجتهاده في تغيير ميراث الجد.

أيمكن القول بأنهم اعتمدوا على قول الله تعالى (**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**)[5] سنداً لتلك الأحاديث المنسوبة إليهم؟ وفي رفضهم أمر النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بإحضار الكتف والدواة؟ وفي رفضهم تعيين أسامة أميراً على الجيش؟ وفي رفض المتعة؟؟؟ لكن حديث المتعة ليس فيه اعتراض على أمر النبي وحده صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، بل فيه اعتراض على الله جل جلاله فيما أنزله في القرآن "**والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله وقد فعلها رسول الله**"[6]!!! فكيف يستند إلى هذه الآية من كتاب الله وهو يعترض على كتاب الله إذا صح الحديث؟

وقد جاء في التاريخ الإسلامي أن عمر بن الخطاب هو أول من بدأ التجسس ليلاً على الناس وتَسَوّر بيوت من كانوا يشربون الخمر! فاحتجوا عليه بأنه خالف أمر الله في منع التجسس

---

[1] سورة البقرة، الآية: 229

[2] صحيح مسلم

[3] سنن النسائي الكبرى

[4] سنن الدارمي

[5] سورة التوبة، الآية: 100

[6] السنن الكبرى

لقوله تعالى (...**وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**...)[1] وأنه دخل البيت من غير بابه مخالفاً قوله تعالى (...**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**...)[2] وقوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)[3] ومخالفاً الهدي النبوي "**من ستر مؤمناً في الدنيا على عورة ستره الله عز وجل يوم القيامة**"[4] فرجع عنهم عمر ولم يقم عليهم الحد! فهل يحق له – لكونه صار حاكماً – أن يخالف أمر الله في التعامل مع الناس في مسألة التجسّس على المسلمين والتَسوّر عليهم ليلاً لتكون سنّة من سُنن الخلفاء الراشدين؟؟ وهل يحق له مخالفة الهدي النبوي في الالتزام بستر عورات المسلمين؟ وهل يحق له ترك إقامة الحد على من وجب عليه الحد بشهادته هو، لأنه ارتكب خطأ في أسلوب القبض عليه؟ بمعنى هل الأسلوب الخاطئ في القبض على المتّهم يسقط الحد الشرعي..؟ أم أن الأولى (وهو الحق) مُعاقبة المخطئ على خطئه في أسلوب قبضه على المُتّهم – مهما كانت مكانته لأن الشرع لا يُفرّق بين أمير وفقير– ومعاقبة المُتَّهم بجريمته. ولا أرى أن خطأ الأول يُسقِط جريمة الآخر وهو حد من حدود الله!!

وينسب التاريخ الإسلامي إلى الخليفة عثمان بن عفان أنه أعاد إلى المدينة ابن عمه مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بعد أن نفاه النبي عنها!!! وهو أمر لم يفعله أبو بكر ولا عمر. ولم يلتزم بما كانا عليه من إتّباع أمر النبي في نفيه الوزغ بن الوزغ. وخالف سنّتهما. وألغى أمر النبي بإبعاده ولم يكتف بذلك، بل أعطاه مائة ألف دينار تعويضاً عما أصابه من نفي النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله له!!! وزاد بأن أعطاه أرض النبي – أرض فدك – التي رفض أبو بكر إعطاءها لفاطمة بنت النبي عليها السلام بحُجّة أنها لا تُورَّث..!! كأن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أمر أن يُعطى ميراثه لطريده وتُحرَم منه ابنته!!! فهل يُبرَّر هذا الفعل من الخليفة عثمان بحديث "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"[5] وهل يُحِقُّ له كذلك رفض الأخذ بحديث النبي في وصيته على عِترته" "**الله الله في أهل بيتي**"، "**أُذَكِّرُكُم الله في أهل بيتي**"[6]؟؟؟ ولا أدري ما موقع هذا التصرُّف من محبّة آل بيت رسول الله المفروضة بنص القرآن (...**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**...)[7]!

---

[1] سورة الحجرات، الآية: 12

[2] سورة البقرة، الآية: 189

[3] سورة النور، الآية: 27

[4] مسند أحمد

[5] مسند أحمد

[6] صحيح مسلم

[7] سورة الشورى، الآية: 23

أو أنه يا ترى لا دخل للمحبة في معالجة أمر الحُكم؟ وإذا كان لا دخل لمحبة آل البيت في الحكم فهل يُعتبر الحُكم ديناً..؟؟.

وهل يُفهم من أن (الإسلام دين ودولة) أن الحاكم إذا كان يقول بلسانه لا اله إلا الله محمد رسول الله يكون له الحق في التشريع؟ حتى ولو كان تشريعه يخالف سنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ وأن تشريعه هذا سنة تُتَّبع؟ أي أنه بكونه صار حاكماً فهو يعتبر خليفةً مسلماً راشداً ويدخل في الحديث القائل "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ"؟!! فعددُ الخلفاء الراشدين لم يُحدَّد –إذا صح هذا الحديث– ولم تُحدَّد صفاتهم المميزة لهم لا بقرآن ولا بحديث!! ويبقى السؤال من هم الخلفاء الراشدون وكم عددهم أمراً مبهماً؛ مما يجعل الحديث فاقداً للتطبيق في الواقع!! أو يكون كل حاكم مسلم، خليفةً راشداً، وتشريعه سنة. ويبقى التشريع الإسلامي، هو تشريع الحكام في كل زمان..!! ونكون بذلك جعلنا الحكام أنبياء ورسلاً، لهم سنن كما للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! وتكون الشهادة تعدلت إلى "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً وبعض أمته رسل الله"! لأن لهم سنناً كما لرسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! ونزعم أن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قد أوصى بإتباعها!! ويكون هناك شرك في الرسالة وأندادٌ لرسول الله كما أشرك الأولون في الألوهية وجعلوا أنداداً لله!! والأخذ بهذا الحديث يعني أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قد أعطى الأمر لإمكان نسخ سنته وبرفع صوت غيره عليه..!! وأنه ترك شيئاً في الدين لم يوضحه، أي أنه لم يُبَلِّغ الرسالة كاملةً ولم يؤدِ الأمانة. وعجز عن إكمال تبيينها، ليكملها من بعده أناس أوكل إليهم ذلك. ولم يحددهم ولم يسمِّهم. وعلى الناس أن يجتهدوا – وكيف يجتهدوا ويبحثوا؟– للتعرُّف عليهم، ليأخذوا منهم ما تبقّى من السنّة في الدين!!! وأين كل ذلك من قول الله تعالى (...**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**...)[1]؟ وهل يا ترى هذا هو السبب في غياب كل خُطَبِهِ التي تجاوزت الخمسمائة التي كان يلقيها كل جمعة على جميع المسلمين بالمدينة رجالاً ونساء؟!! بينما حفظوا خطب الحجاج وزياد بن أبيه وأدخلوها في مناهج التدريس!! وهل هذا هو السبب في عدم الاهتمام بسنته وتدوينها حتى جاء الاختلاف الحاد والتَعَصُّب في كيفية وضوئه وصلاته؟!! بينما دُوِّنَت جُلُّ أفعال الخلفاء حتى تلك التي تصطدم بسنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، وتتطاول علناً لإلغائها ومنعها، دون أن يعترض عليها المسلمون، أو يصفوها بالخروج على سنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله! وما ذلك إلا القول بعصمتهم الناسخة لعصمة النبي ...!!!!

[1] سورة المائدة، الآية: 3

ولا تجد أحداً يقول بخطأ أبي بكر أو عمر بن الخطاب أو أحد الصحابة إلا تَعَرَّضَ للهجوم بكل الوسائل والتكفير، وربما للتصفية الجسدية من جُهَلاء التَعَصُّب، الذين يعتقدون في عصمتهم من مُنطَلَقِ أنهم خلفاء راشدون، وأن لهم سنةً أو سناً تتبع. فيجب عندهم قبول كل أفعالهم دون اعتراض، ولو كانت أفعالهم ناسخة لسنة من سنن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! وقد ذكروا أن عمر بن الخطاب أمر بإحضار شاب سمع امرأة تتغزل فيه يدعى نصر ابن حجاج فوجده جميلاً جداً فأمر بحلق شعره فصار أجمل فأمر بنفيه عن المدينة وليس له من الذنب إلا أن الله سبحانه وتعالى خلقه جميلاً!! والجمال كان آية ليوسف عليه السلام. بينما لا يوجد أجمل من النبي صلى الله وبارك عليه وآله الذي أوتي الحُسن كله! ثم السؤال الذي يطرح نفسه هل نفي الشاب إلى مدينة أخرى يمنع افتتان نساء تلك المدينة أو المنطقة به، وهل فعل عمر بن الخطاب هذا مع رجلٌ لم تثبت عليه جريمة ولا ذنب يُعدُ سنة أم بدعة؟ أم أنها أوامر لحاكم مدني؟

ومما يُضعف حديث "عليكم بسنتي.." أن عمر بن الخطاب لم يُسم فعله في جمع الناس على صلاة التراويح سنة بل سماه بدعة. لذلك لا وجود لسنة أخرى بجانب سنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله.. وما عداها كله بدعة! حسنة كانت أو سيئة. وقد عُرّفت السنة بأنها ما فعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله أو قاله أو أقره وليس فعل أو قول غيره. وقد ذكرنا آنفاً أن الإمام علي عليه السلام رفض أن يقتدي بما كان عليه الشيخان أبو بكر وعمر بن الخطاب مما حدا بعبد الرحمن بن عوف أن يبايع لعثمان. وعمر بن الخطاب نفسه لم يتبع أبا بكر في العمل بمتعة الحج بل خالفه ومنعها. وعثمان بن عفان خالف ما كان عليه أبو بكر وعمر بن الخطاب في إتباعهما سنة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في القصر في صلاة السفر وصلاها كاملة!! وعليه فلا توجد سنة ملزمة متبعة من أي منهم!! بل كلٌ منهم خالف مَن قبله ورفض العمل بما كان عليه!! وهذا كفيل برد الحديث من الخلفاء الأربعة أنفسهم!

وإذا كان هناك خلفاء راشدون يجب إتباع سنتهم، وسمع الخلفاء الأربعة ذلك الحديث من النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، فذلك يعني أن أبا بكر ليس خليفة راشداً يجب إتباع سنته؛ لأن عمر رفض أن يأخذ بما كان عليه أبو بكر في أمر المتعة. كذلك عمر لا يكون خليفة راشداً يجب إتباع سنته، لأن عثمان رفض أن يأخذ بما كان عليه عمر بن الخطاب في قصر الصلاة! وكذلك بالنسبة لعلي عليه السلام لا يكون أبو بكر وعمر من الخلفاء الراشدين الذين لهم سنة واجبة الإتباع، لأنه رفض الاقتداء بسنتهما وهو أحرص الناس على الالتزام بأمر أخيه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؛ فإذا سمع منه أمراً بإتباع سنة خلفاء راشدين فلا يمكنه المخالفة أو الرفض لذلك الأمر كالذي يمكن صدروه من غيره كموقف عمر في الحُديبية، وفي موقفه من تأمير أسامة للجيش وفي حديث الكتف والدواة. فإذا رفض علي عليه السلام إتباع أحد الخلفاء فذلك يعني أن

ذلك الخليفة ليس خليفة راشداً. فإن النبي صلى الله وبارك عليه وآله أخبره بكل أمير على فئة حتى قيام الساعة وكيف يموت! حتف أنفه أم غير ذلك.. وذكر حذيفة حديثاً للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أخبرهم فيه بما يكون إلى قيام الساعة: عن حذيفة رضي الله عنه قال: **"لقد خَطَبنا النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله خطبةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، عَلِمه من علمه وجَهِله من جهله، إن كنتُ لأرى الشيء قد نَسيته، فأعرفهُ كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غابَ عنه فرآهُ فعرَفه"**[1]. يتضح من هذا أن الخلفاء الأربعة لم يلتزم واحد منهم بما كان عليه سلفه، وأنهم استحدثوا أموراً في الدولة لم تكن موجودة في زمن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بدءاً بالإكراه على البيعة، وأخذ الصدقة بالقوة والقتال عليها، وإصدار تشريعات مخالفة لما كان عليه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كمضاعفة حد شرب الخمر، ومنع المتعة في الحج، ورفض وصيته في أهل بيته، وعدم الإقرار بأنّ الكتاب مع أهل بيته وإلا لما أغاروا عليهم. وأصبح الحاكم حاكماً مسلماً يتخذ من القرارات ما يراه مناسباً ولا يتقيّد بما سبقه من أوامر وتشريعات. فنجد كل خليفة قد خالف من كان قبله في عدة أمور. ويؤخذ على مسألة الحكم بعد النبي كذلك أشياء أخرى أهمها فقدان حكم عمر للشورى لأن أبو بكر عيّنه دون استشارة أحد. وحكم أبو بكر جاء كما قال عمر نتيجة "فلتة وقى الله شرها" وجاء حكم عثمان نتيجة تعيين عمر لستة أشخاص يختار من بينهم الخليفة وهذه بدعة أيضاً كبدعة التراويح فلا هي إتباع لأمر من النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ولا من كتاب الله!! كما أن الأمر بقتلهم جميعاً إن لم يتفقوا بعد ثلاثة أيام لا يؤيده دين أو عرف سبقه. فهو اجتهاد من عمر وليس له العصمة فيما يشرع ولكنها أوامر صدرت من حاكم أو أمير. فهل الحكم عند الخلفاء بعد كل ما أشرت اليه يعد حكم مدنياً أم دينياً..؟

[1] صحيح البخاري

إيذاء النبي

كان الحبيب محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله نوراً يمشي على الأرض لا يتبعه ظل، ووصفه من خلقه بأنه رؤوف رحيم.. فلا يوجد في قلبه شيّء من الغلظة.. اثبت ذلك الله جل جلاله في محكم تنزيله حيث قال **(...وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...)**[1] فكان إذا دعا الحال إلى وجود الغلظة في موقف من المواقف أُمِر بها لأنها لا توجد في خُلُقه؛ قال تعالى **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)**[2] فطلب منه الاتصاف بالغلظة في جهاده للكفار والمنافقين. فاستحق المدح من إلهه مخاطباً إياه مباشرةً حيث جعل له الأجر استحقاقاً لا مِنَّةً من الله مبالغة في إكرامه **(وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ)**[3] ولأحبابه الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالصلاة على النبي كِفلٌ من هذا الإكرام. ترى لو كان هناك ملك جليل القدر في بلد ما، له وزنه وكلمته المقدرة المحترمة أمام الجميع لا ترد له كلمة، ولا ينقض له حكم، كيف يكون وقع كلمات ذلك الملك على أحد الناس، لو وصفه في حضرته مادحاً بقوله "ما أعظم أخلاقك..!"؟ لقد قال الله جل جلاله لرسوله وحبيبه محمد صلى الله وبارك عليه وآله مخاطباً مادحاً **(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)**[4] ولم يكن مدحه ليحيى عليه السلام بخطاب مباشر في الحضرة الإلهية، حيث قال تعالى فيه **(وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)**[5] ولا حاجة لمدح أو شهادة بعد مدح الله تعالى في خطاب مباشر للممدوح بقرآن يُتلى آناء الليل وأطراف النهار!!

أرسله تعالى إلى قومه الأُميّين **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)**[6] فكان هو المعلم الأكبر، مدينة العلم، النبي الأميّ– نسبة إلى قومه الأميّين. ومنهم من نسب ذلك إلى أم الكتاب... أي أنّ علمه هو مصدر كل العلوم ولا تعني كلمة "الأميّ" أنه لا يعرف القراءة والكتابة، ولا يحق لأحد من المسلمين أن يقول عن مدينة العلم انه لا يعرف القراءة والكتابة. وغاية ما يمكن أن يقول عنه في هذا الأمر هو إنه لم يتعلم القراءة والكتابة عند أحد من الناس!! ولا يعني ذلك أن الله لم يعلّمه القراءة والكتابة، بل الأرجح انه قد علّمه ذلك والله لا يُعجزه شيء!! فالله سبحانه قد علّمه الكتاب الذي ما فرّط في شيء في الوجود!! وهو صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الذي أشرف على رسم

---

[1] سورة آل عمران ، الآية : 159.

[2] سورة التوبة ، الآية : 73.

[3] سورة القلم ، الآية : 3.

[4] سورة القلم ، الآية : 4.

[5] سورة مريم ، الآية : 15.

[6] سورة الجمعة ، الآية : 2.

القرآن وصحة خطه حتى لا يكتب أحد من كتّاب الوحي كلمة مكان كلمة!! والاستدلال على دعوى أنه لا يعرف القراءة والكتابة بحديث بدء الوحي وقوله لجبريل "ما أنا بقارئ"[1] لا يسعف المستدل به لأنّ جبريل لم يمد ورقة مكتوبة للنبي وطلب منه قراءتها!! وكلمة "ما أنا بقارئ" تعني الرفض فقط لا أكثر؛ كرفضك لمن طلب منك فعل شيء بقولك له "ما أنا بفاعل" والعلّة في رفضه هي أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قد علمه الله القرآن كلّه قبل الوحي، وطلب منه ألا يتعجّل بتبليغه قبل أن يأتيه الوحي. قال تعالى **(...وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ...)**[2]. وقول جبريل له إقرأ يشير إلى أنّ جبريل كان يعلم أنّ القرآن عند النبي لذلك طلب منه أن يقرأ.

فمحمد صلى الله وبارك عليه وآله كان نبياً وهو يتحنَّث في غار حراء... وقد جاء في القرآن الكريم أن عيسى بن مريم عليه السلام كان نبياً وأوتي الكتاب وهو طفل في حجر أمه **(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّـهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)**[3] فلا وجه للاعتراض على أن النبي أوتي القرآن كله قبل نزول جبريل إليه فالتزم النبي بالأمر الإلهي وقال لجبريل "ما أنا بقارئ" أي أنت الذي تبدأ بالقراءة لأن في الأمر بلاغ عن رب العالمين.

فهو المرسل الممدوح من الله بجميل صفاته، إلى قوم وصفهم الله تعالى بقوله **(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّـهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**.. أشد كُفراً.. ممن؟ لا شك ممن سبقهم من كفار اليهود والنصارى وقوم نوح وعاد وثمود!! فلاقى في أداء رسالته من العنت ما لاقى. ويتحمل من سوء أخلاقهم وقلة تأدبهم في محاولة إصلاحهم ما لا يتحمله غيره حتى يقول له من أرسله **(طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ)**[4] وقال تعالى **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ (في قلبك) وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)**[5] فهوّن عليك يا حبيب الله. فقد علم الله أنك حريص على العالمين. ولا تشقي نفسك فما عليك إلا التذكرة والبلاغ. فكانت ثمرة ذلك أن دخل في الإسلام ذلك العدد الكبير من الأعراب على الرغم من أن مدة الرسالة كلها لم تزد على ثلاثة وعشرين عاماً. ولولا خُلُقه العظيم الذي مدحه به الله لم يكن ذلك التحوّل من الشرك إلى الإسلام من أمة كانت اشد كفراً ونفاقاً من قوم نوح.. فذات النبي الشريفة هي الأساس والمرجعية في دخول الناس في الإسلام لا الرسالة..وقد كان قوم نوح أقل كفراً ونفاقاً رغم **(...إِنَّهُمْ**

---

[1] صحيح البخاري.

[2] سورة طه، الآية: 114.

[3] سورة مريم، الآية: 30.

[4] سورة طه، الايات: 1،2.

[5] سورة القيامة، الايات: 16-18.

كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ)[1] ومكث فيهم نوح عليه السلام ألف سنة ألا خمسين عاماً **(...وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)**[2] برسالته.

كان ممن أسلم في هؤلاء الأعراب من يرى في دخوله في الإسلام أمراً يستحق عليه الإشادة والحمد. حيث أنه زاد من عدد المسلمين وقلل من عدد المشركين وأصبح صحابياً.. فيمتنّ بذلك على رسول الله. وقد يشار إلى ذلك بحديث "اللهم أعز الإسلام بأحد العُمرين" وهو حديث لا يصح لأن العزة للناس تكون بالإسلام وليس العكس. فلا تكون العزة للإسلام بمشرك بل **(...وَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)**[3] و**(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)**[4] فلا يترك لأحد إحساسا أو شعوراً بأنه يمتنّ على رسوله بأنه أعز الإسلام بدخوله فيه. فلقد كان من حبه له أن أعطاه الأجر استحقاقاً لا امتناناً، مبالغة في إكرامه – كما ذكرنا– فكيف يترك غيره ليمتن عليه؟؟ فينزل قوله تعالى **(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّـهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)**[5] وهذه الآية كفيلة برد الحديث "اللهم أعز الإسلام بأحد العُمرين" ولماذا بأحدهما... وليس بكليهما ؟؟!! كما أن فضل الإسلام عائد عليهم. وليس فضلهم هو العائد على الإسلام، وفي رواية "بأحب الرجلين عندك..." وهم كفار آنذاك فالذي يسلم منهم يكون أحب والآخر محبوباً رغم كفره **(...فَإِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)**[6]. وكان من سوء سلوك بعض المسلمين وقلة

تأدبهم، أن جاءت يوماً تجارة من الشام، قدم بها دحية بن خليفة الكلبي، ويقال أنها كانت زيتاً. فقاموا من المسجد غير عابئين بصلاة الجمعة ولا بإمامهم، حينما رأوا التجارة؛ وبسلوك فقد الاحترام كله والاهتمام بالدين، تركوا النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قائماً على المنبر وهرعوا إليها!! لا يلتفتون إليه ولا إلى ما يقوله وما يذكر!! وكان اللهو أيضا يجذبهم عن النبي ويفضلونه على صلاتهم معه؛ فينفضون إليه ويتركون النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قائماً!!! ذكر الطبري عن جابر ابن عبد الله قال: كان الجواري إذا نكحوا، كانوا يمرون بالكبر والمزامير ويتركون النبي قائماً على المنبر وينفضون إليها فأنزل الله **(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّـهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّـهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّـهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)**[7].

---

[1] سورة هود ، الآية : 40.

[2] سورة هود ، الآية : 40.

[3] سورة المنافقون ،، الآية : 8.

[4] سورة الفجر ، الآية : 14.

[5] سورة الحجرات ، الاية : 17.

[6] آل عمران ، الآية : 32.

[7] سورة الجمعة ، الاية : 11.

كان من الصحابة من يتباطأ في الخروج مع النبي صلى الله وبارك عليه وآله في حروبه ولا يلي ذلك اهتماماً! يا للهول ويا لفداحة الأمر أن يتخلف المرء عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله وهو يدعي انه أسلم وانه يحب رسول الله!!! فينزل الحق سبحانه في شأنهم **(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّـهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ...)**[1] ولكن الله مع رسوله حيث كان. وناصره ومؤيده **(إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّـهُ...)**[2] وهو القاهر فوق عباده والناصر لرسوله فلا يظن أحد من أصحابه أن له منة أو فضلاً في نصرة النبي وقتل أعدائه **(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللَّـهَ قَتَلَهُمْ...)**[3]... **(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّـهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)**[4] فما عليك يا حبيب الله إلا البلاغ والله متم نوره... فإن تولوا فقل حسبي الله. **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)**[5].

كان يجعل نفسه بين أصحابه كأحدهم..! لم يفرض نفسه ملكاً عليهم. ولا تجبّر ولا تأمّر ولا تسلَّط عليهم. بل لم يكن يُقطِّب جبينه على أحدهم ولا يُظِهر الغضب إلا إذا انتُهِكَت حرمات الله!! فضرب مثلاً للتواضع لم يُسبَق إليه.. يرقع ثوبه ويخصف نعله ويحمل الدقيق على عاتقه... ولكنّ الجلال يغلب على طلعته رغم كل ذلك متى بدت تلك الطلعة البهية؛ فإذا هال أحدهم رؤية الجلال فيه وأخذته الهيبة، سارع الحبيب للتخفيف عليه بإبراز تواضعه، فيقول له "هوّن عليك فإني لست بملك؛ إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد"[6] فيغطي الجلال المهيب بالجمال الودود!! فجهل الأكثرون من صحابته قدره، وغابت عنهم عظمته التي غطاها بذلك التواضع العظيم!! ومن كان مجبولاً على عدم الغلظة وموصوفاً بأنه رءوف رحيم... من كان يستحي أن يشعر مؤذيه بما أصابه من تصرفه نحوه... من كان مثلاً للتواضع في سلوكه.. فقد تدثَّر بخُلُقٍ عظيم استحقّ به المدح من خالقه.. فكان أسلوب دعوته التذكير وبذلك الطبع الجمالي اللطيف! وهو الذي يلائم ذلك الخُلُق العظيم **(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)**[7] فتلك شمائلك وصفاتك العظيمة أيها الحبيب التي لا تعرف السيطرة والتسلط.

---

[1] سورة التوبة ، الاية : 120.

[2] سورة التوبة ، الاية : 40.

[3] سورة الانفال ، الاية :17.

[4] سورة الحجرات ، الاية : 17.

[5] سورة التوبة ، الايات : 128,129.

[6] سنن أبن ماجة – باب القديد.

[7] سورة الغاشية ، الايات 21،22.

ولكن الأعراب الذين وصفوا بشدة الكفر والنفاق، فإن استجابتهم للحق بالتذكير واللطف وهذه الشمائل الجمالية العذبة، لا تكون إلا قليلاً. فلذلك لابد من الإنذار والتخويف وإظهار الجلال، حتى تعي تلك النفوس المتجبرة، وتنتبه تلك القلوب القاسية؛ وتستجيب إلى نداء الحق بقوة النذير، إن لم تستجب بلطف التذكير. فيطلب الله سبحانه وتعالى إلى أعز خَلقِه عليه الذي تدثّر بعظيم الصفات والأخلاق الجمالية أن يقوم من هذا الدثار الأخلاقي المثالي الذي جهله به قومه، إلى تخويفهم وإنذارهم! إذ أن ذلك هو الأنسب لهم والأولى والأوفق لفطرتهم الغليظة وقلوبهم القاسية، فقال تعالى **(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)**[1] كي يعلموا أن الله فوق كل كبير، وله الكبرياء والعلو. فيعلموا قدر رسوله **(...وَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...)**[2]. فإذا جاءهم الإنذار وعرفوا أن الله كبير فوق كل كبير، عرفوا قدر رسوله النذير؛ وتعاملوا معه بما يليق بقدره العظيم الخطير عند الله الذي اختاره فأرسله!! **(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)**[3].. حاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أن يكون على غير طهارة.. ولكن الثياب بل خير الثياب للبّاس هي التقوى؛ قال تعالى **(...وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ...)**[4] فالاهتمام يجب أن يكون بهذه الثياب – لِبَاسُ التَّقْوَى– فهي التي تبدوا للآخرين في التعامل و"الدين المعاملة" والنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أفضل من لبس التقوى. ولكن إظهار شيء من الجلال والشدّة على تلك الأخلاق الجمالية الملائكية، هو مطلب من مطالب القيام بالرسالة– **(قُمْ فَأَنذِرْ)**[5]– فالطهارة هنا لهذا اللبّاس، هي إظهار الجلال مع الجمال؛ وهو ما يمكن أن يكون صالحاً للإنذار، أي التقليل من اللطف والجمال المطلق الذي لا يستحقونه ولا يستجيبون له. فيكون صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بإظهار الجلال مع الجمال بشيراً ونذيراً!!!

كان عبداً رسولاً ولم يكن ملكاً رسولاً!! فجهله الأكثرون ممن حوله من صحابته، الذين كان يبهرهم السلطان والحكم والجبروت، لأنهم كانوا من أمّة **(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّـهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**[6]. وما قدروه حق قدره، حتى قال لهم "وددت إني لقيت إخواني" فقيل له "ألسنا إخوانك يا رسول الله؟" قال "أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني"[7]. وحدّد لهم رجلاً من التابعين يفوقهم في الفضل والمقام. وطلب منهم

---

[1] سورة المدثر ، الايات : 1،2،3.

[2] سورة المنافقون ، الآية : 8.

[3] سورة المدثر ، الآية : 4 .

[4] سورة الاعراف ، الآية : 26.

[5] سورة المدثر ، الآية : 2.

[6] سورة التوبة ، الآية : 97.

[7] مسند احمد.

إذا رأوه أن يسألوه ليستغفر لهم.. وكذلك فعل عمر بن الخطاب عندما التقى أويس القرني رضي الله عنه وطلب منه أن يستغفر لهم!!! وهذا الحديث كفيل بإخراس أولئك الذين ينعقون بأنه لا يوجد أحد أفضل من الصحابة. كأن ما عند الله من فضل قد نفد، فهذا التابعي فضلهم بالنص، وبين النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فضله بأن قال لعمر "**فمروه فليستغفر لكم**"[1].

وقد كان في الصحابة من يؤذي النبي بسلوكه فيستحي أن يبين لهم ما لحقه من ذلك الأذى!! فإذا بالحق سبحانه وتعالى ينزّل في ذلك قرآناً يتلى، مبيناً سوء سلوكهم الذي سكت عنه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله – لسموّ أخلاقه وعظمته– والذي يجب أن يجتنبوه في تعاملهم مع الحبيب صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله..! فيقول الله جل جلاله لهم (...**إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّـهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**...)[2] وقد قال صلى الله وبارك عليه وآله "ما أوذي نبي مثلما أوذيت" وما ذلك إلا من قبل بعض الصحابة الذين بلغ ببعضهم عدم الوقار وسوء السلوك أن كذبوا عليه واضطروه أن يقف فيهم خطيباً ليقول لهم "**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**"[3]... كذبوا عليه في حياته والوحي يتنزل عليه..!! وكانوا يدخلون بيوته من غير إذنه، ويتحدثون إلى نسائه..!! وفيهم من كان في قلبه مرض حتى يتنزل القول الفصل من قبل الحق تعالى (**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**...)[4]. فالله سبحانه وتعالى بين أن هناك من بين الذين يتحدثون إلى نساء النبي من في قلبه مرض. والذي في قلبه مرض هو المنافق؛ قال تعالى (**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّـهُ مَرَضًا**...)[5] ومكان المنافق هو الدرك الأسفل من النار كما قال تعالى (**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**)[6]، فكان هذا التنبيه من الله سبحانه إلى نساء النبي ليأخذن حذرهن من المنافق الذي يطمع في نساء النبي وهو من الذين يدخلون بيوت النبي ويتحدثون إلى نسائه كما يتبين من الآية الكريمة وهو ما كان يؤذي النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لمساسه بعرضه المقدّس، والذي في قلبه مرض ويطمع في نساء النبي ليس هو عبد الله ابن سلول، لأنّه لم يُعرف بأنه كان يدخل على بيوت النبي ويتحدث إلى نسائه!!! وقد قال أحد أجلافهم –غضب الله عليه– " لئن مات محمد لأنكحن عائشة من بعده"!! كبرت كلمة! فأنزل الله تعالى فيه قوله (...**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّـهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ**

---

[1] صحيح مسلم.

[2] سورة الاحزاب ، الآية : 53.

[3] صحيح البخاري.

[4] سورة الاحزاب ، الآية : 32.

[5] سورة البقرة ، الآية : 10.

[6] سورة النساء، الآية : 145.

كَانَ عِندَ اللَّـهِ عَظِيمًا)[1]. وما كان الله ليدع حدثاً يمر بحبيبه إلا أنزل فيه قرآناً يتلى ليبقى على مر الدهور والأجيال. وجاء عنه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "**في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط**"[2]. أفلا يكون من آذى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بهذه الكلمة الشنيعة في عرضه بشهادة الله عز وجل من هؤلاء الإثني عشر؟ وهل يمكن أن يكون في غير الدرك الأسفل من النار؟؟!! أم هل يمكن أن يكافئه النبي على سلوكه هذا ويبشره بالجنة ..؟؟!!!

كان صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لا يتميز على أصحابه، ولكن كان الله يميّزه بحبه له في كل شيء حتى رأى ذوو البصائر منهم ما لم يروه في البشر العاديين فأدركوا قصر معرفتهم به وازدادوا فيه تحيراً لما كانوا يرون من طاعة الأكوان له... القمر والشجر والحجر والضبّ... وتكاد عقولهم تعجز عن وصفه ومعرفته... فينزل قوله تعالى **(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ...)**[3] فيغشى تلك العقول الخيرة والبصائر النيرة نذر يسير من المعرفة بكلمة **(...يُوحَىٰ إِلَيَّ...)** التي تشير إلى علاقته بالله!!! والأكثرون ممن حوله جهلوا قدره وتعاملوا معه كما يتعاملون مع بعضهم!!! فيتدخل الحق سبحانه لإلزامهم بالأدب مع الحضرة الشريفة **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)**[4] فحرّم على الصحابة أن يتعاملوا مع النبي كتعاملهم مع بعضهم حتى في أسلوب المخاطبة، ناهيك عن بقية التعامل معه!! كان هذا الأمر الإلهي القاطع في النهي عن رفع الصوت عند النبي، والنهي عن الجهر بالقول له – كما يخاطب الناس بعضهم البعض – رحمة بهم حتى لا تحبط أعمال الذين آمنوا وهم لا يشعرون. وبدأ بأبي بكر وعمر اللذين نزلت بسببهما الآية لرفعهما صوتيهما عند النبي!!! ليعلما مكانتهما من قدره الفخيم وعلوّه العظيم وليعلم الناس أين هما من النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حتى لا يجترئ شقي بمساواة أحدهما به..!!! أما من يرى أفضلية أحدهما عليه حتى أن الله يؤيده ويترك نبيه ويعاتبه فإنه لم يترك من الأذى وسوء الأدب شيئاً في حق النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لأنه مكذّب له في قوله "بُعثت معلماً"[5] و"أنا مدينة العلم" ويُنسب إليه الجهل في أداء رسالته؛ فعليه أن يتربص حتى يأتي الله بأمره!! قال تعالى **(...وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّـهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[6].

---

[1] سورة الاحزاب ، الآية 53.

[2] صحيح مسلم.

[3] سورة الكهف ، الآية : 110.

[4] سورة الحجرات ، الآية : 2.

[5] سنن ابن ماجة

[6] سورة التوبة ، الاية : 61.

كان من حُسن خُلُقه العظيم لا يُشعِر من حوله انه تأذى منهم رغم حدوث ذلك منهم!! فقد كانوا قبله اشد كفراً ونفاقاً ممن سبقهم من كفار الأمم السالفة كاليهود والنصارى وعاد وثمود. وهو على خُلُق عظيم وبعث ليتمم مكارم الأخلاق. ولا يتم الإيمان إلا بمحبة رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كما بيّن ذلك في حديثه "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**"[1] والحب يقتضي إحسان التعامل والأدب... وحينما بدر منهم عدم إحسان التعامل مع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بيّن الله تعالى لهم ما هم عليه حتى يعرفوا أحوالهم وصفاتهم على حقيقتها لا بدعواهم ليراجعوا تعاملهم معه من باب الحب الذي هو الإيمان: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّـهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)**[2]. كانوا – حتى من آمن منهم – لا يحسنون التعامل مع الذات الشريفة فيتولى الله تعالى تبيين قدره العظيم لهم ويزجرهم في عدم إحسان التعامل معه حتى لا يكونوا مثل كفار اليهود فيقول لهم **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّـهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّـهِ وَجِيهًا)**[3]. فقد كان منهم من لا يتورعون –إذا تناجوا– في الحديث عن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله عن إمكانية عصيانه في بعض الأمور!!! فيكشف الله سبحانه الأمر لنبيه وينزل فيهم قوله جلّ وعلا ناهياً إياهم عن ذلك **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ...)**[4]!.

لقد أرسل الله تعالى أحب خَلقِه إليه وأعظمهم أخلاقا إلى أشد خلقه كفراً ونفاقاً، والحبيب لا يشكو من سوء تأدبهم وسلوكهم ويتحمل أذاهم في سبيل إخراجهم من الظلمات إلى النور. ويلاقي في ذلك من الأذى ما لم يكن لنبي من قبله، حتى يكون الحق هو الذي يبين ذلك؛ ويتوعد من يصدر منه أذىً لرسوله الذي امتنّ عليهم به؛ قال تعالى **(لَقَدْ مَنَّ اللَّـهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)**[5] ويتولى تأديبهم معه وينذرهم ويحذرهم من أن يؤذوه؛ قال تعالى **(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّـهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا)**[6]. وليس لمخلوق من مخلوقات الله تعالى القدرة على إيصال أذاه مباشرةً إلى الله... تعالى الله عن أن تطاله أيدي المخلوقين... وتعالى الله عن أن يناله أحد بمكروه أو أذى.. اللهم إلا أن يكون ذلك متمثلاً في أذى

---

[1] صحيح بخاري.

[2] سورة الحجرات ، الاية : 14.

[3] سورة الاحزاب ، الاية : 69.

[4] سورة المجادلة ، الاية : 9.

[5] سورة ال عمران ، الاية : 164.

[6] سورة الاحزاب ، الاية : 57.

حبيبه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. فيكون من آذى النبي فقد آذى الله كما جاء في الحديث عنه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "**من آذاني فقد آذى الله**"[1]. وقد تدَخَل الله سبحانه وتعالى

بين النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وأزواجه حينما أرادت اثنتان منهما التظاهر عليه، وهي أول تظاهرة في الإسلام، فجاء التهديد الإلهي لهن بقوة –رغم انهما زوجتاه– **(...وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّـهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ)**[2]... ولا يقف الأمر عند هذا بل يقول تعالى لهن **(عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ...)**[3] فالإسلام هو التسليم للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ولم يقل "عسى ربكن أو عسى ربكم " بل أخرجهما من الإضافة إلى رب محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لعدم تسليمهما، فلا حرمة لهما إلا به صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، ولن ينفعهما دخولهما في الآية **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...)**[4] حيث ضرب الله مثلاً بامرأتي نوح عليه السلام ولوط عليه السلام اللتين أدخلهما تعالى النار على الرغم من انهما كانتا زوجتين لنبيين. قال تعالى **(ضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّـهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)**[5].

ومن الأذى بل من عظيم الأذى للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أن ينسب إليه نقصٌ في العلم أو السلوك أو الأخلاق إن لم يكن ذلك كفراً كما يقول بعض المفسرين بأنه عبس في وجه الأعمى؛ وانه صلى على منافق؛ وأنه جعل الحلال حراماً، حين نسبوا إليه تحريمه زوجته، إرضاءً لحفصة وعائشة، في تفسيرهم لسورة التحريم!! وحتى لو سلمنا بما ادعوا في إيضاح السبب – وهو إرضاء حفصة وعائشة– فإنّ الحقّ معه في أن يترك من شاء ويأوي إليه من شاء منهن كما قال تعالى **(تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ...)**[6]. وليس على المرء شيء في تحريم أو طلاق زوجته أو أمته!! ولا يوصف من فعل ذلك بأنه جعل الحلال حراماً!!

ولقد كان بين الصحابة من آمن برسول الله ثم كفر بعد ذلك وأهدر النبي دمه وأمر بقتله ولو تعلق بأستار الكعبة! وكان منهم عبد الله بن أبي السرح الذي كان من كتاب الوحي ثم ارتد وصار يقول "إن محمداً كان يملي عليّ العزيز الحكيم فأكتبها الرؤوف الرحيم"!! فما الذي حدث؟

---

[1] مسند احمد.

[2] سورة التحريم ، الاية : 4.

[3] سورة التحريم ، الاية : 5.

[4] سورة الروم ، الاية : 21.

[5] سورة التحريم ، الاية : 10

[6] سورة الاحزاب ، الاية : 51.

جاء عثمان بن عفان بأحد الذين أهدر دمهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليعفو عنه الرسول بدلاً من أن ينفذ فيه حكم النبي مخالفاً بذلك أمر الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. وعاد ابن أبي السرح إلى الإسلام. ألا يدخل هؤلاء في قول الله تعالى **(كَيْفَ يَهْدِي اللَّـهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...)**[1] وماذا بعد الحق إلا الضلال!! فمن يشهد بأن الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حق – كما قال تعالى في محكم تنزيله– يجب عليه تنزيه الحق، وأن لا ينسب إليه صفة تنتقص من قدره وإلا دخل في هذه الآية!! كالذين يقولون بأنه أخطأ وأصاب عمر بن الخطاب في أسارى بدر!! والذين يقولون انه حرم حلالا في سورة التحريم! والذين يقولون انه عبس في وجه أعمى لا يرى العبوس...!! والذين يقولون أنه صلّى على المنافق رغم نهي الله له..!! وقد عصوه يوم الحديبية وتمردوا عليه حتى ظل عمر بن الخطاب يردد "كدت اهلك، وما شككت مثل ذلك اليوم" حيث بادر بالعصيان، وقال للنبي صلى الله وبارك عليه وآله "ألسنا على الحق؟" كأن الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أخطأ في تصرفه، أو أن الأمر ليس كما قال، ولم يتصرف من حيث الحق!! ولكنهم رجعوا وقبلوا ما قبله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. ورفضوا تأميره أسامة على الجيش وفيه أكابر الصحابة مثل عمر وأبي بكر وطلحة والزبير وأبي عبيدة حتى اضطروه ليقوم فيهم خطيباً رغم مرضه ليقول لهم "إنه خليق بالإمارة كما كان أبوه خليقاً بها" ولعن من لا يخرج في جيش أسامة..!! وعادوا بعد رحيله صلى الله وبارك عليه ووالديه واله ليطلبوا من الخليفة أبى بكر نقض لواء رسول الله لأسامة حتى يقول أبو بكر"ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، أتريدني أن أحل لواءً عقده رسول الله؟" فسعوا في رفض أمره في حياته وبعد ارتحاله!!! "ما أوذي نبي مثلما أوذيت"... قال تعالى **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)**[2] وقال تعالى **(...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[3] ورحل النبي صلى الله وبارك عليه وآله عن الدنيا وعهده بهم أن رفضوا إحضار الكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده أبداً، وطردهم من مجلسه حيث قال لهم "قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع". فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه"!!![4]...

كان حريصاً على إبقائهم بعده على الهدى. فحرصوا هم على عدم تنفيذ أمره وقبول هديه واتهامه بالهجر! وظنوا انهم لا حاجة لهم بما يريد أن يكتب أو يقول، وجهلوا كل الجهل في رفضهم

---

[1] سورة آل عمران ، الاية : 86.

[2] سورة الاحزاب ، الاية : 36.

[3] سورة النور ، الاية : 63.

[4] صحيح البخاري.

بقولهم "حسبنا كتاب الله"؛ لأنّ كتاب الله يقول لهم **(...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...)**[1].... **(يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)**[2]. ومن المؤسف أن يكون هناك ممن يقال عنهم أئمة المسلمين، كالنووي مثلاً, من يقول أن عمر بن الخطاب اجتهد وأصاب في قوله للنبي "حسبنا كتاب الله"[3]!! ولا يعني ذلك إلا أن الذي عارضه عمر كان خطأً، إذ يستحيل أن يكون الرافض للأمر والآمر محقان في آن واحد!!! فليكن قولهم صريحاً: "أخطأ النبي وأصاب عمر" ولتكن الآية عندهم" وما آتاكم عمر فخذوه!!! لينسحب معناها على معارضة النبي يوم الحديبية وعلى معارضة صلاة النبي على عبد الله بن سلول وعلى معارضة تأميره أسامة على الجيش وعلى أسرى بدر فيكون موقفه هو الأقوى في الحق من النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! فقوّة عمر في الحق يكون معناها وقوفه في وجه النبي ومعارضته له، لا وقوفه ضد أبي جهل أو أبي لهب أو أحد عُتاة المُشركين أو قتله عدداً منهم!! ومَن يعتقد أن الله يؤيّد عمر على مخالفته للنبي في تلك المواقف مُعتمداً على كلام بعض المُفسّرين وبعض الأحاديث فإنه يرى أن الله أرسل مَن يوجد أفضل منه في أُمَّته، وبما أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله أفضل المرسلين لقوله تعالى **(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...)**[4]، وأفضل الرُّسل هو من صلى عليه الله وملائكته تحديداً وأخذ له العهد والميثاق والنصرة من كل الأنبياء السابقين قال تعالى **(وَإِذْ أَخَذَ اللَّـهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ)**[5]، فالمُصوِّب لمواقف عمر يرفعه بذلك فوق النبي وفوق جميع الأنبياء والمرسلين، ويكون رافضاً أمر الله تعالى **(...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...)**!! تُرى هل يُسَر عمر بن الخطاب إذا قيل له: إنك أفضل من محمد رسول الله في تلك المواقف؟ ثم انظر إلى ما نسبوا إلى عمر من موقفه في وصية النبي وموقفه من وصية أبي بكر. فالنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لم يغب عن حسّه قط حينما طلب أن يكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده أبداً فإذا بعمر يقول "إنه ليهجر، حسبنا كتاب الله!" وحينما أراد أبو بكر أن يكتب لهم وصيته غاب عن وعيه ثم سأل عثمان ماذا كتب فقال "كتبت فقد وليت عليكم عمر..." ولم يتدخل عمر في كتابة الوصية بل كان يقول للناس "اسمعوا وأطيعوا لخليفة رسول الله وليس "حسبنا كتاب الله"!!

---

[1] سورة الحشر ، الاية : 7.

[2] سورة يس ، الاية : 30.

[3] صحيح البخاري.

[4] سورة البقرة ، الاية : 253.

[5] سورة ال عمران ، الاية : 81.

دعوة التوحيد

إن فكرة التوحيد هي دعوة يقول أربابها أن توحِّد الله ولا تعبد غيره، ولا تجعل بينك وبينه واسطة، ولا تستعن بغيره، وإلا فأنت مشرك ومآلك إلى جهنم!!! وفتوى الشرك هذه يمكن أن يستباح بها الدم والمال!! ذلك إن توفرت السلطة لأربابها وإن لم تتوفر فأصحاب هذه الفكرة التوحيدية يدعون إليها بالجهاد والقتل والإرهاب ولا يفرقون بين من يقول لا اله إلا الله محمد رسول الله وغيره!!! ويرى من تلبس بها أن موته في سبيلها شهادة فيتخذ العنف سبيلاً إلى دعواه هذه فيقتل ويُقتل!!! ويدعي معرفة مراد الله وينتحل الوكالة في سلطة الله تعالى في إصدار حكمه على نفسه بأنّه في الجنة وعلى من يقتله في النار!!

وأسلوب الدعوة إلى الله لم يتركه المشرع للاجتهاد، ولا يحق لمسلم مقتدٍ برسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، أن يتخذ كيفية للدعوة مغايرة لما جاء به، ولا يصح الاقتداء بغيره من أصحابه، إلا إذا جهل ما كان عليه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. فالذي جاء به نبينا الكريم في كيفية الدعوة هو ما جاء في كتاب الله أولاً. قال تعالى (**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)[1] فاشترط في الدعوة أن تكون بالحكمة، واشترط في الموعظة أن تكون بعد استعمال الحكمة. واشترط فيها أن تكون حسنة وهذه الكيفية خاصة بالدعوة إلى غير المسلمين الذين لا يشهدون بأنّ محمداً رسول الله. فإن شهدوا أن محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله رسول الله بطلت الدعوة وبدأ التعليم في آداب الإسلام، ومعاملات العبد مع خالقه ومخلوقاته. وإذا كانت الدعوة لغير المسلمين هذه كيفيتها، فإنّ الدعوة للمسلمين – إن صح أن تكون هناك دعوة لمسلم ينطق بالشهادتين – لا تكون إلا كما أمر بها رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وهي "**حببوا الناس في الله يحببكم الله**" "**وبشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا** "[2] و"ما خُيِّر رسول الله بين أمرين قطّ إلاّ أخذ أيسرهُما"[3] وهي تعليم الناس المحبة في الله ورسوله، وتيسير أمر الدين لهم وتبشيرهم بحسن العاقبة والشفاعة التي يدخل بها الجنة كل من وجبت له النار، إذا كان من أحباب النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وال بيته المهتدين بهديه.

---

[1] سورة النحل، الآية: 125

[2] صحيح البخاري وصحيح مسلم

[3] صحيح البخاري

وحديث "**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**" لا يصحّ بأيّ وجه من الوجوه إذ أن المخاطب هنا غير الصحابة ولا يعقل أن يكون خطاب النبي لنا عبر القرون أو بالإنترنت!! كما انه لا يمكن أن يكون المخاطبون هم الصحابة وإلا لكان الحديث "انتم كالنجوم من اقتدى بأيكم اهتدى" إذن فالمخاطبون إما منافقون وإما مشركون وهم الذين نقلوا إلينا الحديث!! فالحديث يسند إلى منافقين أو مشركين يحدثون عن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!!!! ثانياً فالحديث يجعل الاقتداء بالصحابة لا بالنبي ليكون النبي خارج الصورة بعيداً عن الاقتداء به..! وبكل أسف فقد وجد هذا الطرح أذناً صاغية عند بعض المسلمين – وهو الاقتداء بالصحابة دون النبي– نذكر مثالاً لذلك وهو: أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله جعل حد الله في عقاب شارب الخمر أربعين جلدة. وجاء بعده عمر بن الخطاب وغير حدّ الله في عقاب الخمر بثمانين جلدة، ولم ينكرها المسلمون بل منهم من عمل بها رغم مخالفتها لحد الله ورسوله!!!! (**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**...)[1] وسنّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله المتعة في الحج وجاء عمر بعده ليقول "**والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله وقد فعلها رسول الله**"[2] ولم يعمل عثمان بن عفان بتشريع النبي صلى الله وبارك عليه وآله في قصر الصلاة في السفر وصلاها كاملة، ولم ينكرها المسلمون بل جعلوها أصلا وجعلوا القصر الذي هو شرع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في السفر رخصة..!!! وقد يقول قائلهم "بأيّهم اقتديتم اهتديتم"..!!!

والاقتداء بالصحابة أصبح هو الأصل عند المسلمين لا النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه واله!! ولذلك نجد من يقول إن من بين الصحابة من سعى في تصحيح العقيدة رغم وجود النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! وذكروا أنّ أبا بكر وجد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في بيته، وهناك جاريتان تُغنيان في حضرته. فإذا بأبي بكر يرى في هذا عدم لياقة، وخروج عن الدين الذي جاء من عند الله، برغم وجود النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله المرسل لهم ليعلّمهم الدين فيقول "**أمزامير الشيطان في بيت رسول الله**"؟ كأن الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قصر في أداء الرسالة لعدم إبعاده مزامير الشيطان عن بيته..! وكأن أبو بكر هو الأحرص على الرسالة بأن تؤدى بطريقتها الصحيحة ولا يجب عنده أن يكون فيها ما سمح به رسول الله!! وقد يشتم من هذا التطاول اتهام بالتساهل إن لم يكن بالتقصير في أداء الرسالة من قبل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! هذا لو صح هذا الحديث. والمعلوم أن السُّنة هي ما فعله النبي أو أمر به أو اقره أو سكت عنه. فإذا كان النبي قد سكت عن أمر أو أباحهُ وجاء أبو بكر لينكر على النبي ما أباحهُ أو ما سكت عنه فذلك يعني عدم رضائه بالسنة!! وحري بأبي

---

[1] سورة الشورى، الآية: 21

[2] النسائي

بكر لزوم الأدب مع النبي والرضا بما يرضاه وإتباع سنته. ولا يأمر ولا ينهى أحداً بحضرة الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله . وان كان ما يراه لا يروق لمزاجه أو لا تقبله فطرته، فليس هو الذي يحدد كيفية السلوك بحضرة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. ولا يرفع صوته بأمر. فهل غاب عن أبى بكر قول الله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[1] وقوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**)[2] فإن التأمُّر على إنسان في بيته لمن سوء السلوك، ناهيك إن كان البيت هو بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حضرته!! والاحتجاج على سلوك أو الاعتراض على أمر دون مراعاة لرأي رب البيت، أياً كان رب البيت الذي هو هنا الأسوة الحسنة كما يقول رب العالمين (**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**)[3]. لهو من أقبح القبيح ولا يقبل بأيّ وجه من الوجوه لا في عرف ولا دين!! فهل يُقبل هذا الحديث؟

وكان هناك اتهام آخر للنبي بالتساهل في أداء الرسالة حين قال عمر يوم الحديبية "ألسنا على الحق" وسعى في تحريض الناس على التمرد ورفض الانصياع للنبي بالحلق والتقصير!!! فيقول أهل الجهل وأدعياء التوحيد إن عمر كان قوياً في الحق! ترى هل هي قوة أكثر مما عند رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ وتنسب القوة لعمر في الحق كذلك في وقوفه ضد النبي في صلاته على عبد الله بن سلول! فنجد كثيراً من علماء المسلمين ومن تبعهم – ممن يدعون محبة النبي المفروضة عليهم والتي لا نجاة ولا إيمان إلا بها– يمجدون فعل عمر في جذب النبي من ثوبه ليمنعه من الصلاة على بن سلول! وهو فعل لم يترك من سوء الأدب شيئاً.. ترى هل لو قام رئيس الجمهورية اليوم أو أمير دولة أو ملك من الملوك أو رئيس وزراء وأراد أن يفعل شيئاً فهل يتجرأ أحد بمنعه أو إيقافه بجذبه من ثوبه؟؟ الإجابة قطعاً كلا ثم كلا، ولكنهم يقولون لأنه لا يوجد أحد كعمر بن الخطاب!!! إذن فقوة عمر هي في الحقيقة ضد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! فكيف يجرؤ أحد على التطاول بهذه الصورة على رسول الله؟! وعلى أمر الله تعالى الذي أوجب الانصياع للنبي في كل فعل وأمر, وجعل معارضته ومخالفته الكفر وعدم الإيمان والعذاب الأليم!!!؟ قال تعالى (...**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)[4] "وإذا كان الله سبحانه لم يقبل من عمر مجرد رفع صوته أمام حبيبه محمد صلى الله

---

[1] سورة الحجرات، الآية: 1

[2] سورة الحجرات، الآية: 2

[3] سورة الأحزاب، الآية: 21

[4] سورة النور، ، الآية: 63

وبارك عليه ووالديه وآله وانزل في ذلك قرآناً يتلى لتظل تلك الحادثة باقية على مر السنين والدهور، لتوضح مدى لزوم الأدب مع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، ولم يقبل أن يخاطبه المؤمنون كما يخاطب بعضهم بعضاً، فهل يرضى الله من عمر أن يمد يده ويجذب النبي من ثوبه حتى يؤثر الثوب على كتفه معترضاً عليه؟؟ ألم ينه الله تعالى عن مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله؟ ألم يقُل (...**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) هل رخص الله تعالى لعمر في اعتراضه على النبي؟ إذاً فما معنى قبول فعل عمر هذا بل استحبابه من قبل علماء المسلمين ومن آزرهم؟ انه يعدّ اتهاماً للنبي في التساهل في أداء الرسالة إن لم يكن اتهاماً بالتقصير!! ويعنى ذلك أن عمر كان قوياً في الحق –عندهم– لا ضد أبي جهل وأبي لهب أو أحد من المشركين ولكن ضد النبي في أسلوب أداء الرسالة!!! ليتخذه أرباب دعوة التوحيد عنواناً لهم!! وتحت شعار "بأيّهم اقتديتم اهتديتم"!!!

ويتبع ذلك اتهام آخر للنبي بالخطأ في قراره، بتعيين أسامة أميراً على الجيش، وتحت إمرته أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وأبو عبيدة، حتى اضطر النبي صلى الله وبارك عليه وآله أن يدافع عن قراره حرصاً عليهم. لأن رفض أمره يعني عدم الإيمان! فيجمعهم في المسجد ويخاطبهم "ما بال مقالة بلغتني عن إمارة أسامة للجيش والله انه لخليق بها كما كان أبوه خليق بها" "أنفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة" فلولا أن كانت هناك معارضة لأمره صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لما اضطر إلى إلقاء كلمته عليهم وهو مريض معصوب الرأس... وكان المفترض فيهم أن يكونوا أهل سمع وطاعة لكلّ ما يرد من رسول الله إن كانوا مؤمنين لقول الله تعالى (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**)[1] وقوله تعالى (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**)[2]. لقد قضى رسول الله أمره بتعيين أسامة أميرا على الجيش فهل بقي للمعترض على ذلك إيمان بعد قول الله هذا؟ ولكن بما أن الاقتداء عند كثير من المسلمين بالصحابة لا برسول الله فلا يرون بأساً في معارضة أمر النبي من صحابي يُقتدى به ولا يرون فيه انسلاخاً من الإيمان!! ويرى فيه أصحاب دعوة التوحيد قوة في الحق!!! واستمر ذلك الاعتراض في حياته وبعد رحيله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إلا أن أبا بكر قال لعمر "ثكلتك أمك يا ابن الخطاب أتريدني أن احل لواءً عقده رسول الله"؟ وأسوأ من ذلك كله اتهام عمر للنبي صلى الله وبارك عليه وآله في حضرته بأنه "يهجر" و"غلبه الوجع"

---

[1] سورة النساء، الآية: 65

[2] سورة الأحزاب، الآية: 36

وعلى المسلمين ألا يأتمروا بأمره. فلا يحضروا له الكتف والدواة التي أمرهم بإحضارها لأنه مريض، وقد يكتب لهم ما لا يتفق مع الرسالة، وقال عمر "حسبنا كتاب الله" حرصاً على الرسالة من النبي الذي يهجر وغلبه الوجع!!!

إذاً فإن في الرسالة كما يرون أموراً تجب مراجعتها لأن هناك تقصيراً يظنونه ويعتقدونه من النبي في أدائها، بل يرى بعضهم أن هناك أخطاء في أداء الرسالة!! وهناك مواقف تصحيحية كما يقولون من بعض الصحابة للنبي في أداء رسالته يرون أنها يجب أن تتبع وأهمها مسألة التوحيد!!! ففي أول فرصة سنحت لأبي بكر بعد رحيل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بادر لتصحيح عقيدة كل الصحابة الموجودين بالمدينة الذين حضروا آنذاك وأنذرهم بما هم فيه من سلوك الشرك!!! "**من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات**"[1] إنه اتهام صريح لما كان عليه حال النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وأصحابه في مسألة التوحيد!!! كأنّ هناك إيحاء من النبي صلى اله وبارك عليه ووالديه وآله لأصحابه لعبادته هو دون الله أو إشراكه في العبادة مع الله.. أو على اقل تقدير انّه قصر طيلة ثلاثة وعشرين عاماً بتعليمهم "التوحيد" والعقيدة الصحيحة التي بعث بها!!! وجاء الآن دور أبي بكر لوضع الأمور في نصابها وتعليم الناس التوحيد الصحيح!!! ويهلل أرباب دعوة التوحيد بمقولة أبي بكر هذه التي تعمد فيها ترك توقير النبي لأنه لا يجتمع التوقير مع النقد!! برغم أن التوقير فرض عليه لأمر الله تعالى (...**وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**...)[2].

يستمر النقد لأفعال النبي "سُنّته" عندهم والتصحيح للعقيدة التي جاء بها فيقول عمر "**أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك**"[3] إنه استياء من تقبيل الحجارة – كما يرون– أجبرهم عليه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله! وهذا القول هو إظهار لاستيائه رغم إتباعه!! فتقبيل الحجارة عندهم وتعظيمها تفوح منه رائحة عدم صحة العقيدة والشك في أمر التوحيد، وهو الذي يرونه قد فعله النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. فلا يتردد عمر عن محاولة إلغاء ما لا يراه مناسباً من فعل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فقد قال "**والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله وقد فعلها رسول الله**"[4]. وها هو يقول لفعل فعله النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله مع حجر انه لا قيمة له.. ولا يضر ولا ينفع! وقوله هذا للحجر بأنه لا يضر ولا ينفع نابع من اعتقاده وتوحيده، فالنبي عنده يقدس ويقبل حجارة لا تضر ولا تنفع!! فباطنه يرفض الحجر وظاهره يقبله!!! فيظهرون الإتباع ويبطنون الرفض. أهكذا القوة في التوحيد؟

---

[1] سنن البهيقي

[2] سورة الفتح ، الآية: 9

[3] البخاري

[4] النسائي

وهل هذه صفات المؤمنين الموحدين؟ ولكنها ظهرت بعد رحيل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله مباشرة. و قد بدأت بوادر منها في حياته حين جاء عمر بصحيفة من كتاب اليهود (التوراة) من صاحب له يهودي ليقرأها على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فأغضبه حتى قال له "**والذي نفس محمد بيده لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني**"[1]. وانزلق كثير من الناس في إتباع ما نُسب إلى أبي بكر وعمر وما فيه معارضة صريحة وخروجاً على أمر الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وظنوا أنهم يتبعون من كان شديداً في الحق (لمعارضته للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله) وأنهم هم الفرقة الناجية وغيرهم مشركون وإن قالوا لا إله إلا الله وأن عمر على الحق وإن اعترض على رسول الله!!! فاستباحوا دماء المسلمين وخرجوا عن أسلوب دعوة الإسلام ثم عن الإسلام. ومن غضب من هذا الكلام فذلك يعني أنه يخصّه وليراجع نفسه ودينه... وأين هو من رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قبل أن يلتفت إلى غيره من الصحابة رضي الله عنهم!!!.

[1] مسند أحمد

عدالة الصحابة

يقول الله سبحانه وتعالى في خطابه لإبليس (**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**...)[1] ومعلوم انه لا يخرج من العبودية لله أحد من خلقه، ورغم ذلك فإنّ العباد الذين ليس للشيطان عليهم سبيل هم جزء خاص من الكل وهم الذين اختصهم الله برحمته قال تعالى (...**وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ**...)[2] فعلم من كلمة (عِبَادِي) في هذه الآية أنها لا تعني الكل على الرغم من أنّ الكلّ عباد الله. وقال تعالى (**تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**...)[3] ومعلوم أن الريح التي أرسلها الله إلى عاد قوم هود لم تدمر كل شيء!. فيتبين أن التعميم قد لا يعني الكل ويُعلم ذلك من ملاحظة الظواهر المرافقة للأمر المعمم به. ففي العباد يوجد من استهوته الشياطين ومنهم من تشاركه في الأموال والأولاد ومنهم من استمتع بعضهم ببعض. ومن هنا يمكن القول بأنه متى ما وجد تعميم فإمكانية الاستثناء واردة.

وقد جاء بعض علماء المسلمين بقاعدة عدالة الصحابة وحرَّموا قبول الاستثناء فيها، ليصير كل صحابي عندهم لا يذنب ولا يكذب ويكادوا يقولون لا يخطئ. فإذا ثبت خطؤه قالوا إن له أجراً في هذا الخطأ ولو أصاب لكان له أجران!! وهذا ينطبق عندهم على كل من رأى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وآمن به ومات وهو يشهد أن لا إله إلا الله. لأنّ ذلك هو تعريف الصحابي عندهم وكل من انطبق عليه هذا التعريف فهو صحابي وهو من العدول لأنه قد ثبتت له الصحبة!! ولا يفرقون بين صحابي وآخر وإن اختلفا وتخاصما وبلغ بهما الخصام حد العداوة والأحتراب والقتل!! فكليهما مصيب عندهم وإن كان مخطئاً. وإن اقتديت به اهتديت إلى الطريق الصحيح وإلى طريق الجنة!! ورضي الله عن سيدنا المخطئ هذا لأنه صحابي! كما قيل لطلحة بن عبيد الله الذي نكث بيعته على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وخرج محارباً له يقود الجيش باغياً في وقعة الجمل وقُتل. فهل يُصنّف بهذا العمل عدوّاً لأمير المؤمنين أم حبيباً له؟ والنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يقول لعليّ "**اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**"[4] وهل هناك عداوة فوق القتال؟ فقالوا رغم ذلك كله رضي الله عن طلحة فيما فعل وهو مع عليّ في الجنة...!! ومن اقتدى به فقد اهتدى!! ولا يصح الكلام عن صحابي عندهم إلا بالمدح. أما النقد فمحرّم عندهم. ولكنه مُباح في شخص النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! فلا حرج عندهم إن قلت إن النبي

---

[1] سورة الحجر، الآية: 42

[2] سورة البقرة، الآية: 105

[3] سورة الأحقاف، الآية: 25

[4] الترمذي

عبس ولكن الويل لك إن قلت إن الذي عبس هو أبو بكر أو عمر!! بل الويل لك إن نفيت العبوس عن النبي صاحب الخُلُق العظيم ويمكن أن تستتاب من ذلك!! ووُضعت النصوص المؤيدة لقاعدة عدالة الصحابة ومنها "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وهذا الحديث تبدو عدم صحته من متنه، إذ مَن المخاطب بهذا الحديث؟ بمعنى آخر مَن هؤلاء الذين يُخاطبهم النبي بهذا الحديث يخبرهم به عن أصحابه؟ هل الحديث موجه إلينا عبر القرون؟ وإن كان كذلك – وهو ما لا يعقل – فمن الذي نقله من مصدره؟ بالتأكيد إن الذين خاطبهم النبي بهذا الحديث غير صحابة لأنه يحدثهم عن الصحابة وهم الذين نقلوا إلينا هذا الحديث! فالحديث منقول من أناس سمعوه من النبي وهم غير صحابة، فالحديث يُسند إلى غير الصحابة. ولو كان المخاطبة من النبي صلى الله وبارك عليه وآله إلى صحابته لأصبح لفظ الحديث "أنتم كالنجوم من اقتدى بأيكم اهتدى". فالناقل للحديث غير صحابي ويكفي طعناً في الحديث أن يكون ناقله غير صحابي بشهادة النبي صلى لله وبارك عليه ووالديه وآله الذي خاطبه. ومنها حديث "إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا" وهو كسابقه لا تقوم به حجة لأنه لم يوجه إلينا عبر القرون أو بالإنترنت. ومنها حديث "لا تسبوا أصحابي فلو جاء أحدكم بمثل جبل أُحد ما بلغ معشار أحدهم أو نصيفه".

لانه لا يوجد عندهم اي استثناء لهذه القاعدة فانه لا توجد عندهم اخطاء لصحابي. بل ان اخطائهم تظهر في صورة مناقب لهم، ولو كانت هي نفسها معارضة للنبي، ومخالفة لهديه وامره وكان يجب ان تصنف كفراً بدلاً عن مناقب!!! لان الامر الالاهي هو وحده الذي ليس فيه استثناء لأحد من الخلق لتصح له معارضة امر النبي او مخالفته او التحدي له. ولكن قاعدة عدالة الصحابة التي لم تتثن احداً من الصحابة، حيث صاروا كلهم عدولاً بهذه القاعدة، الزمت منشئيها بلي عنق الحقيقة، وجعل المخالف لامر الله باتباع النبي، موافقاً للامر الالاهي، وان خالف النبي!!! فجعلوا النبي بشراً لا ميزة له على بقية الصحابة. والرسالة من عند الله يجب عليه فقط تبليغها – كما يمكن لاي واحد منهم تبليغها – والصحبة لا تعني بالضرورة محبة المصحوب أو اتباعه أو موافقته في منهجه وسلوكه وقد يكون معناها التواجد في زمن واحد، قال تعالى (**وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ**)[1] والمخاطبون بالصحبة هنا الكفار وقال تعالى (**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ...**)[2] وقال تعالى (**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ...**)[3] وهنا معناها المرافقة مع عدم الموافقة قال تعالى (**قَالَ إِن**

[1] سورة التكوير، الآية: 22

[2] سورة يوسف، الآية: 41

[3] سورة الكهف، الآية: 37

سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي...)[1] ومعلوم أنّ موسى عليه السلام لم يوافق الخضر عليه السلام في كل ما فعل رغم صحبته له، لهذا ليس كل أصحاب النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله على قدر واحد من محبتهم وقربهم وطاعتهم للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ولا على قدر واحد من التقوى والإيمان فهم درجات منهم الأصفياء والأتقياء ومنهم دون ذلك بل منهم من قال فيهم رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "**في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط**" فثبت بهذا الحديث أنّ في الصحابة منافقون. فالصاحب قد يكون صديقاً أو مرافقاً أو منافقاً أو كافراً. فالمصرون على قاعدة عدالة الصحابة أجمعين لا تسعفهم في كل الأحوال بل تضطرهم أحياناً للي عنق الحقيقة والمكابرة.

ولأنه لا يوجد عندهم أي استثناء لهذه القاعدة فإنّه لا توجد عندهم أخطاء لصحابي. بل إن أخطاءهم تُظهر في صورة مناقب لهم، ولو كانت هي نفسها معارضة للنبي، ومخالفة لهديه وأمره، وكان يجب ان تُصنّف كفراً بدلاً عن مناقب!!! لأن الأمر الإلهي هو وحده الذي ليس فيه استثناء لأحد من الخلق لتصح له معارضة أمر النبي أو مخالفته أو التحدي له. ولكنّ قاعدة عدالة الصحابة التي لم تستثن أحداً من الصحابة، حيث صاروا كلهم عدولاً بهذه القاعدة، ألزمت منشئيها بليّ عنق الحقيقة، وجعل المخالف لأمر الله بإتباع النبي، موافقاً للأمر الإلهي، وإن خالف النبي!!! فجعلوا النبي بشراً لا ميزة له على بقية الصحابة. والرسالة من عند الله يجب عليه فقط تبليغها – كما يمكن لأي واحد منهم تبليغها – وعليه يمكن عندهم أن يُخَطَّأ هو صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في تطبيقها ويصححه أحد الأصحاب؛ والله جلَّ شأنه يأخذ برأي ذلك الصحابي الذي هو عندهم أحرص من النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في تطبيقها، ويؤاخذ النبي في أسلوبه في تطبيق الرسالة. وبذلك يكون الصحابي الذي خالف النبي أو عارضه أو انتقده، لم يخالف الله رغم أمر الله سبحانه له (...**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**...) وقوله تعالى (...**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**...) ويكون الحق سبحانه – بقبول رأي ذلك الصحابي – قد نسخ ما أمر به في إتباع النبي، ونسخ التسليم له في كل ما يقول ويأمر، ونسخ أن تكون مشاققته كفر وأنّ الائتمار بأمره هو الإيمان، بل جعل مخالفته عندهم هي الحق، ومعارضته هي القوة في الحق، وإنه يستحق عندهم المؤاخذة من ربه في أسلوبه الخاطئ في أداء الرسالة؛ على الرغم من تفويض الله له الأمر في الدين كله لقوله تعالى (...**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**...) فيكون الله سبحانه عندهم فّوض النبي ولم يلتزم بهذا التفويض في أمر الدين. وعدم الالتزام الإلهي عندهم من صنيعهم هم. إذ لا وجود لآية ناسخة

[1] سورة الكهف، الآية: 76

لأمر الله في هذا التفويض، ولكن نَسَـــخَها أصـــحاب عدالة الصـــحابة من قلوبهم ليتهموا الحق سبحانه في اصطفائه وحبّه للنبي، وفي ثقته في من أرسله، وفي إلزام الناس بالأخذ عنه، ولزوم الأدب معه، حتى في أسـلوب التحدّث والمخاطبة! وليقلبوا معنى آيات الود بين الله ورسـوله إلى آيات مؤاخذة من الله إلى رسوله كتفسيرهم لقوله تعالى (**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـــهُ**...)[1] حيث جعلوها في محل المؤاخذة. بينما هي حقيقة تعني عكس ما قالوا تماماً. فالله سبحانه في هذه الآية أراد لحبيبه ألا يقيد نفسه بزمن محدد لفعله فيُضَيق على نفسه، بل أراد له أن يقيد فعله بالمشيئة ليكون له من الوقت حسب ما يريد، ومتى فعل الشيء بإرادته تكون تلك مشيئة الله في ذلك الوقت الذي اختاره للفعل. وما قلبوا معاني الآيات إلا ليتسنى لهم الإتيان باحد الأصحاب، عرف بمعارضته للنبي في كثير من المواقف والخروج على أمره ليجعلوه قوياً في الحق!! إذ أن مواقف النبي عندهم في أداء الرســـالة ضـــعيفة لا ترقى إلى طموح ذلك الصحابي الذي جعلوا معارضته للنبي قوة في الدين – بدلاً من أن يرفضوا الآثار والأحاديث التي تدل على أنه عارض النبي– بينما يجب أن يقولوا أن معارضـة النبي هي الكفر والضـلال مهما يكن المعارض! ولكن قاعدة عدالة الصحابة التي ابتدعوها تلزمهم بتحسين كل أعمال الصحابة حتى ذلك الذي كشف عن إسته لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام حينما ولّى هارباً منه وأدركه وأراد قتله!! فيكون كشف العورة عندهم فعل صحابي عدل يمكن الاقتداء به والاهتداء به!! على قرار "بأيهم اقتديتم اهتديتم" فيجعلون عمرو بن العاص من العدول – حسب القاعدة– ولا فرق بينه عندهم وبين من أراد قتله – إن لم يكشف له عن عورته– الذي قال فيه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "علي أخي في الدنيا والآخرة" و"من سبّ عليّاً فقد سبني" "من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه". وحينما وصـــف عمرو بن العاص عمر بن الخطاب في خطابه للذين كانوا يحاصـــرون عثمان بن عفان، بناءً على طلب عثمان، جاء في خطابه "ثم وليها الأحول بن حنتمة"، يعني عمر بن الخطاب. وغضـــب لذلك بعض المتحيزين لعمر، وقال عن عمرو بن العاص: "ما رفعت العَنزُ ذيلها لتكشـــف عن عورتها إلا لتتقي القتل اقتداء بابن النابغة (عمرو بن العاص)".

إن قاعدة عدالة الصـــحابة جعلت لهم الحق في التشـــريع دون النبي وعدم الالتزام بأمر النبي..!! فلا يرى أصحاب هذه القاعدة بأساً في فعل من تطاول ومنع من بعثه رسول الله ليقول للناس "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة" وهو يحمل نعليّ رسول الله!! فالنبي يأمر بشيء وذلك يمنع تنفيذ أمر النبي (لقوته في الحق كما يقولون) ليكون منعه تشـــريعاً عندهم لأن مخالفة

[1] سورة الكهف، الآيات: 23، 24

الصحابي ومعارضته للنبي جائزة عندهم لأنه عدل. وإذا قال النبي "ءأتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضـــلوا بعده" يرفض ذلك الصـــحابي أمر النبي ويمنع تنفيذه ويقول "حســـبنا كتاب الله" (لقوته في الحق كما يقولون) بينما النبي صـــــلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الذي قال الله فيه (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ**)[1] يقول لهذا الصـــــحابي "إنك امرؤ فيك جاهلية"[2] ولا يلتفت لهذه الجملة الصادرة عن النبي أحد من المسلمين بل إن من يرددها يعرّض نفسه للاتهام بهدم الدين والخروج عن ملّة أهل الســنة والجماعة. – فليتكلم الناس عندهم عن النبي صـــلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بلا حرج، ولكن لا يتجرأ أحد عن الحديث عن عمر إلا بمدح – ولا يتجرأ أحد بوصـــف عبد الرحمن بن عوف بأنه فرعون هذه الأمة كما قال عمر بن الخطاب!!

والذي يعتبر أن كلمة "حسبنا كتاب الله" مصيبة وأنها قوة في الحق، والذي يرى أن قائلها اجتهد وأصاب، والذي لا يرى بها بأساً، كلهم يعومون في بحر الجهل والظلمات على اقل تقدير، إن لم يكونوا قد غطسوا في لجّة الكفر!! وذلك لأنّ كتاب الله الذي يدعون أنه حسبهم يأمرهم أمراً صريحاً واضحاً لا لبس فيه بأنه ليس لهم الخيرة من أمرهم إن كانوا يؤمنون بأنّ محمداً رسول الله وصفيه وحبيبه. ويأمرهم بصريح العبارة – لا يستثني منهم أحداً في ذلك – قائلاً (...**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**...) فكيف يدعون أن حسـبهم كتاب الله وبرفضـهم لأمر النبي قد خالفوا كتاب الله..؟؟!!! والله سبحانه يحذرهم من المخالفة لرسوله حتى لا تقوم لهم حجة في المخالفة، وحتى يعي من لـــــــه أذن واعية خطورة التحذير الإلهي فيرعوي عن مخالفة النبي ويسـلم له في كلّ ما يقول ويأمر ويفعل، تسـليماً كاملاً، ظاهراً وباطناً، دون حرج نفســي (كالذي يقبل الحجر الأسود وهو كاره لذلك – رغم إن ذلك فعله رسول الله – ويصرح بذلك في قوله "لولا أني رأيت رســـول الله يقبلك لما قبلتك") فالتحذير الإلهي عن مخالفة النبي يتبعه التهديد بالعذاب الأليم قال تعالى (...**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**).

إن قاعدة عدالة الصـــحابة قد رفضـــها الحق ســـبحانه وتعالى ابتداءً قبل أن يبتدعوها (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**)[3] فقد قال تعالى في أحد الصحابة يقال أنه الوليد بن عقبة أخو عثمان بن عفان لأمه (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**...)[4] فوصف الله سبحانه ذلك الصحابي بالفسوق. ووصف الله سبحانه بعضاً من الصحابة بإيذائهم للنبي في

---

[1] سورة النجم، الآية: 3

[2] صحيح البخاري

[3] سورة محمد، الآية: 24

[4] سورة الحجرات، الآية: 6

قوله تعالى (...**إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ**...)[1] ومعلوم ما هو جزاء من يؤذي النبي فقد قال تعالى (...**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)[2]. وقال فيهم عزّ من قائل (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ**...)[3] فكيف يستقيم وضع قاعدة "عدالة الصحابة" بعد أن كشف الله عن بعض من الصحابة يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول؟؟ وفيهم من كان يكذب على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في حياته حتى اضطر لتحذيرهم قائلاً "**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**"[4] وقد بيّن الله سوء سلوك ونيات بعضهم بما تشمئز منه الأنفس، حيث أوضح الله سبحانه أن هناك من بين الصحابة من لا يتردد في الطمع في نساء النبي – قاتله الله– وهذا قد بلغ من الدناءة والانحطاط ما لم يسبق عليه من كفار الأمم السابقة. وإن الدرك الأسفل من جهنم اقل عقاباً مما يستحقه. قال تعالى (**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**...)[5] فبيّن الله سبحانه أن هناك من الصحابة من في قلبه مرض ولا يتردد في الطمع في نساء النبي، حتى حذّرهنّ الله تعالى منه!!! ومثل هذا يدخلونه بقاعدة "عدالة الصحابة" في العشرة المبشرين بالجنة!!! على الرغم من تصريحه في قوله "**إن مات محمد لأنكحنّ عائشة من بعده**"[6] فيسقطون حرمة عرض النبي بل لا يلتفتون إليها لحرصهم على عدالة ذلك الشقي الذي لو كان هناك واحد من الصحابة يوصف بالنفاق لما ذهب الوصف إلى غيره، فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "**في أصحابي إثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخِياط**"[7] ولكن قاعدة "عدالة الصحابة" لا تسمح بذلك ولو كان الثمن التضحية بقدسية عرض النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وعدم الإصغاء إلى حديثه بأن هناك منافقين بين الصحابة!! فإذاً لماذا وضعوا هذه القاعدة؟!!.

---

[1] سورة الأحزاب، الآية: 53

[2] سورة التوبة، الآية: 61

[3] سورة المجادلة، الآية: 9

[4] صحيح مسلم

[5] سورة الأحزاب، الآية: 32

[6] تفسير "ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده" – ابن كثير– الطبري–... نزلت في طلحة

[7] صحيح مسلم

الفهرس

مفتتح 5
التشكيك بصحة القرآن 7
معصية الرسول 19
تبليغ الرسالة 25
بشرية الرسول وعصمته 29
صاحب الخلق العظيم 41
الإسم الأعظم 47
حرمة النبي 55
عبوس الكافر وتوليه 69
الادب مع رسول الله 75
أسئلة تحتاج الى اجابات . .! 83
لماذا الاختلاف في السنة . .! 89
معارضة النبي العظيم 95
السنة في رمضان 99
"السقيفة" أم النبي ...! 101
بيعة أبي بكر 105
ماذا يعني رفض المبايعة؟ 109
حكم اسلامي أم حكم مسلمين 119
مدى صحة التاريخ الاسلامي 136
هل هناك سنة موازية للسنة النبوية؟؟ 141
إيذاء النبي 147
دعوة التوحيد 158
عدالة الصحابة 164

BELIEVING IN MOHAMMAD

THOUGHT

مُراجعَات في الفِكرِ الإسلاميّ • الجزءُ الثاني

يندرج الجزء الثاني من هذا الكتاب «مراجعات في الفكر الإسلاميّ»، للمفكّر السودانيّ والمجدّد الشيخ النيّل عبد القادر أبو قرون، ضمن مشروعه المتواصل في إعادة قراءة جريئة لما وصل إلينا عن النبيّ العظيم وفترته، وكيف تعرّضت شخصيّته إلى تشويه عن جهل أو تعمّد، وأيضًا البدع والإضافات أو التبدّلات الّتي جرت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، والأحاديث الّتي تناقض صريح القرآن، أو تطعن في العصمة النبويّة الشريفة، إضافة إلى الأخطاء الممنهجة في التفاسير، وهي جهود تبدو جديدة في معظم طروحاتها، ولم يسبقه إليها أحد منذ أربعة عشر قرنًا.

إنّ هذا الكتاب يستكمل الجزء الأوّل من المراجعات، ويناقش موضوعاته بهدوء، ويدعو المؤلّف إلى قراءته بقلوب متفتّحة، ودون رأي مسبق أو تعصّب، حتّى تتحقّق الفائدة.

أصدر المؤلّف، من قبل، عددًا من الكتب من بينها: الإسلام والدولة؛ شفاء الذمم من اتّهامات المسلمين للنبيّ الأعظم؛ الإيمان بمحمّد؛ كلّيّة الإنسان؛ نبيّ من بلاد السودان؛ بوارق الحبّ؛ وغيرها.